



نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان



دار البشير

ترجمة المؤلف

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجية ، عكف على حفظ القرآن الكريم ومن ثم التأمل والبحث في آياته ، بقي كذلك عدة سنوات .
في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ، وما تنطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ، فنذر نفسه على خدمته ما دام فيه عرق ينبض ، فوضع في مجاله مختلف الدراسات طبع منها :

١- منهج القرآن في الإقتصاد .

٢- المرأة في ظل شريعة القرآن .

٣- مدينة الله في الأرض - قراءه معاصرة

أما غير المطبوع منها :

١- الله يتجلى في عصر الطاقة .

٢- العقل محاوله لفهم عصري .

والآن جاء دور هذا الكتاب (آفاق الحوار الإسلامي المسيحي) لعل وعسى أن يكون فيه النفع والخير الكثير .

أفاق الحوار
الإسلامي المسيحي

مُحْفُوظٌ جَمِيعُ حَقُوقِ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥/١/١٠٩)

٢١٧،٨

قعدان ، زيدان عبد الفتاح
أفاق الحوار الإسلامي المسيحي / عبد الفتاح
قعدان _ عمان : دار البشير ، ٢٠٠٥ .
(١٨٤) ص .
ر . ا (٢٠٠٥/١/١٠٩) .
الوصفات : / الإسلام // المسيحية // الديانات /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



بِإِذْنِ الْمَلِكِ

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان



نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى

دار البیت

إهداء

إلى الإنسان خليفة الله في الأرض .. إلى المسلمين .. إلى المسيحيين نقول أن:
الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين وهو الله الذي بدأ خلق آدم من تراب وهو
الذي قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ونقول أيضاً أن الله واحد لا شريك له: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكلمة (لا إله إلا الله) هي الكلمة المشتركة بين الأديان: ﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكَذَّابُ
تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾
[آل عمران: ٦٤].

وهو الذي دللنا على طريق الحوار وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وكل المؤمنين لا يفرقون بين رسل الله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ
رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا وعلى رسل الله أجمعين الذين أقاموا دين الله في الأرض على العدل والقسطاس المستقيم وبعد:

هذا الكتاب هو محاوله جاده على صعيد الفكر الإنساني - الديني، وهي دراسه علميه تبحث عن الحقيقة الكبرى في الإسلام والمسيحية وبراءة المسيح من خلالها، والدراسه تبحث عن الحقيقة التي تصلح أساساً للحوار الإسلامي المسيحي ..

وازاء ذلك تناولت الحقيقة المسيحية وحقيقة المسيح بالذات من المصادر المعنيه بهذا الأمر والتي لم تخرج عن الدراسه الموضوعيه لابل أكثر ما اعتمدت في الجانب المسيحي أو الحقيقة المسيحية على المصادر التاريخيه الأصليه ومن أفواه أصحابها لابل ومن كتبهم، وفي الجانب الإسلامي لم أرَ حقيقة ناصعة حول الموضوع أحسن مما هو في القرآن الكريم فهو يرسم الصورة والحقيقة المسيحية بدقة متناهيه وللحق لم أرَ براءة المسيح من كل التهم الموجه اليه سواء من الأعداء أو من الأصدقاء ناصعة بيضاء أكثر مما ذكرت في القرآن الكريم وحتى أصل الى الحقائق المرجوه تناولت أولاً في مقدمة الكتاب الحقيقة الواحده في الإسلام والمسيحية ثم قدمت في الفصل الأول حقيقة المسيح في القرآن الكريم فكانت ناصعة البياض بريئه من كل مايعتور حقيقته من الشوائب لأن الحقيقة القرآنيه بخصوص الرسل والأنبياء محفوظه من الخطأ أو التحريف بأمر من الله قاله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وفي الفصل الثاني تعرضت لحقيقة المسيح في الأناجيل ولأخفي أنني رأيت أو لمست الحقيقة المسيحية تتعرض لبعض التصرفات الإنسانية سواء حول حقيقة المسيح أو رسالته مما جعلني أتعرض لبعض الإنحرافات الدينية في الفصل الثالث وأثر هذه الإنحرافات في إذكاء الصراع الديني الأمر الذي جعلني أتعرض لهذا الموضوع .. بعنوان الصراعات الدينية وأسبابها وقمة ذلك، جاء في الفصل الرابع بعنوان الحروب الصليبية وأسبابها ووسائلها وآثارها في المسيرة البشرية.. الأمر الذي جعلني أضع تصوراً أو آفاقاً لحوارات دينية في الفصل الخامس فوضعت أساساً لهذه الحوارات الدينية قائمه طبعاً على أساس الكلمة المشتركة أو الحقيقة الواحدة وهي التوحيد الإلهي وخاصة الحوار الإسلامي المسيحي وإمكانية الوصول إلى الحقيقة الكبرى وهي أن الله واحد لا شريك له وهو الغاية المثلى لرسالات الأنبياء كل الأنبياء.. مما دفعني إلى طرح تجربته الإسلامية وبينت دين الله المقبول في السماء والأرض والذي هو خاتمة الرسالات السماوية الشاملة أو خاتمة البيان السماوي وهو دين الله (الإسلام) الذي بشر به كل الأنبياء وكان ذلك في الفصل السادس وحتى يؤكد على براءة ونزاهة هذه الصيغة تتبعت التجربة الإسلامية في أوروبا ومظاهر النجاحات في هذا السبيل والتوفيق بين أصحاب الرسالات.. وفي الختام طرحت نماذج من الحوارات الدينية خاصة الحوار الإسلامي المسيحي ومظاهر التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين وكان ذلك من خلال إبراز شواهد واعترافات على أهميه هذا التواصل لجسر الهوة المصطنعة بين الطرفين.. من خلال كلمة (لا إله الا الله) المشتركة..

مقدمه

الإسلام والمسيحية والحقيقة الواحدة

البشريه- منذ بدء الخليقه ،كان منشؤها على الأرض واحداً، وهو آدم، وكان خلقه من طين وتربة الأرض.. وكل الرسالات الآتية من السماء والتي مصدرها الخالق تشهد.. بالحقيقة الواحدة في الخلق والمنبت والخالق الواحد.

وعليه كان الناس أمة واحدة، ولكن الله بعث النبيين - مبشرين ومنذرين، بين فترة زمنية وأخرى.. ودعوة كل نبي، كانت الدعوة للتوحيد الإلهي، والإسلام لرب العالمين.. أولاً ومن ثم ترسم أطر الحق - وتدعو اليه، وأطر الباطل وتنتهي عنه لتتصر الأول وتهزم الثاني ولتبقى كلمة الله هي العليا على مر السنين وتعاقب الأجيال.

فكانت القضية الروحية لكل رسول.. الدعوة للتوحيد، وأن لا إله إلا الله لا شريك له في الملك.. لم يلد ولم يولد، فلا أبناء له ولا أحفاد، له ملك السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض الا هو آخذ بناصيتها. وفي ذلك قمة التوحيد والخلوص..

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، الا من بعد أن جاءتهم البينات، فاختلّفوا حتى مع حقائق دينهم..

وجعلوا لهم أوثاناً" يعبدونها من دون الله - إن في دعوة المسيح بأنه ابن الله أو هو ثالث ثلاثه.. وكذا فعل الذين من قبلهم - فاخذهم الله بظلمهم وبما كانوا على الله يفترون.. فذهب قوم عاد وثمود ومنهم من أخذتهم الرجفة، ومنهم من جاءتهم ريح عاتية ومنهم من خسف الله بهم وبدارهم الأرض وبقيت الكلمة الأبدية - كلمة

الله - ناصعة منتصره في كتاب الله العظيم (القرآن)، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولكن بقي الصراع.. أيضاً أبدياً بين الحق والباطل.. وكان عقاب الله عاجلاً أما الآن، بعد نزول القرآن أصبح أجلاً.. إذ لو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على الأرض من دابه ومن ثم كتب الله أن يؤخر الناس إلى أجل مسمى مهما كان الصراع مريراً وعاتياً..

وهكذا بقي الصراع بين الحق والباطل، يشند تارة ويخبر أخرى ومثل ذلك حدث بين أصحاب الكتب السماوية.. بين المسلمين والمسيحيين ومن ثم سمي الصراع الإسلامي المسيحي. وهو بالحق صراع بين الحق والباطل.. يحدث مثله في الدين الواحد فكيف لا يحدث مثله في الأديان - التي سموها على أسماء أصحابها ولم يعرفوا أن الدين عند الله هو الإسلام.. لاغير.

وهذا ما يؤكد أن الصراع الذي يدور بين الإسلام والمسيحية لا أساس له من الصحة.. لأن حقيقة المسيحية الأولى - التي جاء بها المسيح (عليه السلام) لا تتصارع ولا تتناقض مع ما جاء به محمد (عليه السلام) في رسالته الماثلة ليومنا هذا - في القرآن الكريم..

فحقائق الأديان واحده - وهي الدعوه للتوحيد الإلهي ونبذ القتل والسرقة والزنا، ومن ثم الحكم بين الناس بالعدل.

هذا هو جوهر الأديان كلها وما جاء في الإسلام هو إتمام المسيره الدينيه التي بشر بها الأنبياء أو هو الدين الذي جمع فأوعى وجاء ذلك في أعظم كتاب وهو القرآن.. فيه خبر الاولين وفيه خبر الأنبياء والمرسلين وفيه التشريع الشامل، والعقيدة الثابته ..

إذ لا يأتيه الباطل لامن بين يديه ولا من خلفه فصَدَقَ بالأديان ومن جاء بها..
وبَيَّن أنه ناسخ لها جملة وتفصيلاً لأنه احتواها. ومن ثم من ابتغى غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه..

ففي الإسلام.. جاءت الحقيقة، ناصعه لالْبَس فيها ولا غموض ولا تشوبها
شائبه.. كيف لا وهي آتية من السماء وتصدقها تجربته في الأرض، لا بل الكون كله
فهي حقيقة الحقائق..

نعم هي الحقيقة الكبرى: وهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار
ووضوح القمر في ليلة البدر..

كل شيء ينطق بهذه الحقيقة - حقيقة الخالق الواحد الذي لا شريك له في الملك
ولا في القدره ولا يساعده في تدبير الكون مدير أو مهندس أو معلم أو مزارع أو
طبيب أو فيلسوف فهم أصغر وأحق من مشاركته في ذلك..

وهو الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر ولا أحد في السماء
ولا في الأرض من يدعي فعل ذلك لا بل لم يُشهد أحداً من خلقه على ذلك.. وهذا
الكون المدبر بهذه الكينونه..

لا ترى فيه من تفاوت ولا خلل ولا حاجة إلى صيانته.. هل رأى أحد منكم مثلاً
من صعد إلى القمر فوضع لبنه فيه أو وضع آلة لتصحيح مساره.. أو من وضع
فيه زيتاً أو بنزيناً لتسيير دفة الشمس، مثلاً أو القمر..

كل ذلك ينطق بالحقيقة الكبرى..

والمسيح أو غيره لن يستكف أن يكون عبداً مخلصاً في العبادة لرب العالمين
فهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، لا هو ولا غيره من البشر.. كل ذلك مكتوب في
القرآن العظيم المحفوظ برعاية الله - فهو مستند صدق يصلح للقول الفصل في

أخبار الغيب.. وأخبار الساعه والقدرة والعلم والملوكوت السماوي والأرضي كيف لا وهو رسالة السماء الشامله الى الأرض..

في هذا الكتاب -توضيح شامل للحقيقه العظيمه التي جاء بها كل الأنبياء من آدم الى نوح وابراهيم الى موسى وعيسى كلهم يخدمون الرب ((لا اله إلا هو وحده لاشريك له))... هذه الحقيقه التي نكرسها هنا هي الحقيقه الكبرى التي جاءت واضحه في رسالة المسيح وواضحه، في رسالة محمد عليهما السلام.. وهذه الحقيقه هي الأساس أو هي العنصر الرئيس في الحوار الإسلامي - المسيحي.

الموصل الأول حقبة المسيح في القرآن

أسرته : أولاً- من هي أسرته..

بادئ ذي بدء.. يخبرنا القرآن أن مولده كان آية من آيات الله وهذا تقدير له غير عنه مصدر الإسلام الأول بنصوص لا تقبل التأويل.. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

وعليه فإن مولده كان آية من آيات الله لا بل كان نبياً في قومه يهديهم ويرشدهم سبيل الهدى - هدى الله. وفوق ذلك كان ميلاده معجزة إذ ولد من غير أب.. وهذا خارق للعاده وقبل أن نخوض في هذا لنر قصة أمه أولاً وسيرتها- وهل هي مؤهلة لهذا الحمل والعبء العظيم.. ولنرى ذلك من خلال القرآن لئلا يدخل بحثنا في هذا الامر الإجتهد والتأويل.. ففي القرآن، قول الفصل.

فبداية القصة هي على لسان امرأة عمران وهي أم مريم..

امرأة عمران

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وهذا الطلب من امرأة عمران والمقررون بالنذر، لأنها كانت امرأة عاقراً وتقدمت بها السن ولم ترزق من قبل بولد أو بنت ..

وعليه كانت رغبته في الولد أكبر لتفي بنذرها إلا أنها أنجبت بنتاً وهذا بالنص القرآني :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

هذه حقائق - يعلمها علام الغيوب- إلا أنها قيلت من قبل امرأة عمران، وربما للتدليل على أن الأمر سيكون عظيماً بشأن هذه المرأة، مريم، وكأنه يقول: إنني أعلم من شأنها وشأن مستقبلها أكثر مما تعلمين ومثله قالت الملائكة بصدد آدم عليه السلام ..

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]

وكان ذلك ايداناً بشأن مكانة آدم عليه السلام، وعلمه، حيث ((وعلم آدم الأسماء كلها)) نفس الشيء حين نوه عن مكانة مريم وشأنها العظيم في المستقبل.. أما صفات المرأة المذكورة - فقد جاء ذلك بالنص القرآني الذي لابس فيه ولاغموض قال تعالى بشأنها:

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۖ ﴾ (٣٦)

فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكَ إِنِّي لِلَّهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [آل عمران: ٣٦، ٣٧].

قصة أمه مريم

وهكذا كانت أم مريم قريبه من الله وإلا لما لجأت إليه حين دعت ربها ليهب لها مولوداً ذكراً قادراً على خدمة البيت أو المعبد ذاكراً عابداً لله سبحانه وتعالى، وقد وهبته من يوم حملت به لهذا الأمر وتلك المهمة وهي كانت ترى في الولد قدرة على القيام بهذه المهمة وكانت ربما تشير إلى الظروف والأعباء التي تمنع المراه من القيام بهذه المهمة، لما تعاني من أعباء الحمل والولادة والحيض.. الخ

وزيادة في الإيمان قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

والحق، إن آل عمران هم من المقربين أو المصطفين الأخيار فيقول الله تعالى بالنص القرآني الآتي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وهكذا، عاشت مريم، في بيت كريم يعبق بالإيمان والعبادة والخلوص لله تعالى.. ولم يكن حالها غريباً عن حال أهلها حتى الذي كفلها وهو زكريا عليه السلام كان تقياً عابداً لله تعالى.

وفي هذا الجو المؤمن عاشت مريم حياتها الأولى وقد أورد القرآن ذلك حين قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

أي أنها منزّهة عن العبث والإستهتار والفساد.. هكذا هي مريم في تراث الإسلام والمسلمين ولا غرابه فالأمر منصوص عليه في القرآن الكريم.. حتى قومها اعترفوا لها بذلك وبحسن سيرتها وحسن أخلاقها..

﴿يَتَأَخَّتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]

الحق ان الأمر غريب وجديد عليهم، ولكن كان عليهم أن يصدقوا الأمر حين علموا من سيرتها ما علموا.. أمها عابده وكذلك والدها وزكريا (عليه السلام) الذي كفّلها وربّاها.. هو كذلك، فكانت نموذجاً صالحاً في العبادة والتوحيد والإعتكاف المتواصل أي كما وعدت بذلك أمها حين نذرتها للرحمن.. ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]

فقبل أن يأتيها البشير كانت تفي بالنذر الذي قطعتة أمها على نفسها حين وجهت مريم إلى هذه المهمة وهي التقوى والعبادة وخدمة البيت.. تلك هي سيرة مريم في القرآن الكريم ولا أحد يشك في أمرها أو أمر أخبارها من المسلمين لأنها جاءت سيرتها وأخبارها في أقدس كتاب إسلامي وهي مكتوبة كما نزلت من الوحي الإلهي.. وعليه فإن الحقيقة الأولى للمسيح - ناصعة البياض في الإسلام، وهذا يمثل للتربة الصالحة التي كانت تنهياً لمجيء المسيح عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل..

وأما الزيد - الذي نراه قد علق بسيرة المسيح فيذهب جفاءً وهو من صنع المفترين عليه وعلى حياته والذين جعلوا منه الهاً مقدساً هو والرب في صف واحد حتى قالوا (المسيح ابن الله) كما قالوا من قبل.. عزيز ابن الله.

وهو لا يستكف أن يكون عبداً لله كل ذلك وأكثر من ذلك سنراه من خلال الصفحات القادمة ونرى فيه سبباً للانحراف عن الحقيقة الكبرى وهي معرفة الله مما يزيد الصراع بين الحق والباطل.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..

قصة زكريا عليه السلام

تلك قصة مريم، ومن قبلها، قصة امرأة عمران -أمها- وبينهما قصة زكريا مع ربه.. وهو الذي كفها.

﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ

الدَّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَحْتٍ مُّصَدِّقًا

بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]

والغريب في الأمر أن الطلب جاء بعد فوات الأوان وأسبابه غير متوفرة بعد أن بلغ من الكبر عتياً..

وزوجته عاقراً، لا قدرة لها على الإنجاب، فالأمر - إن حدث فهو من قبيل الخوارق أو المعجزات ويندرج ضمن آيات الله العظمى..

كل ذلك منصوص عليه في القرآن الكريم فلو هضم المسلمون حقوق المسيح أو المسيحية لما كانت هذه الصورة الرائعة الناصعة البياض لكل ما يمت للمسيح وأمه بصله وقد وردت في أقدس كتاب..

فإمرأة عمران -أم مريم- كانت عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبر عتياً ولا تتوفر عناصر وأسباب الإنجاب لديها.

وزكريا الذي كفل مريم -كانت زوجته عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبر عتياً واشتعل راسه شيباً..

فأسباب الإنجاب بينهما أيضاً غير متوفرة، مما أدى به إلى الإستغراب فقال:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]

وكذلك مريم التي حملت بالمسيح هي الإخرى غير متزوجة.. وعليه فإن مجيء المسيح حسب نصوص القرآن بمثابة آية ضمن آية أخرى ثانيه وأخرى ثالثه... في أمه وأمها وفي كافلها زكرياً..

إذاً، نرى أن الحقيقة بكاملها، قد جاءت بالنص القرآني ولا اعتقد أحداً كاننا من كان يستطيع أن يضع هذه الإيماءات أو القصص الإخباريه على مسؤوليته وبمثل ذلك الوضوح - إلا من هو عالم بالغيب وبقصص الأولين والآخرين وهذا من اختصاص خالق البشر جميعاً حتى ان الله يقول لنبيه محمد عليه السلام..

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]

قد نكون مبالغين في الأمر.. أو نتعصب لديننا، ولكن أمراً واحداً يؤكد ما نقول أن القرآن قدمضى عليه أربعة عشر قرناً وتعرض لعدة ظروف و أمم منهم الاعداء ومنهم الأصدقاء فلم لم تحرف آيات القرآن كما حرفت في الكتب السماويه الاخرى..

كما هو في الأنجيل أو في نسخ التوراه بحيث اختلفت وتعددت النصوص فيها كما يذكر القرآن في نصوصه الواضحه..

يضاف الى ذلك التأكيد - تأكيد آخر، إذ ما دام الرسول محمد ابن عبد الله لم ينل قسطاً من العلم. فكيف له أن يضع هذه الأمور بمثل هذا الإتران والصدق في التعبير والأخبار دون خلل أو فتور - في الآيات والسور..

هذه الأمور ستتضح أكثر فأكثر من خلال هذه الدراسة ولكن الآن نعود الى ميلاد المسيح عليه السلام وظروف الحمل والميلاد وذلك من خلال نصوص القرآن الواضحه ..

قصة ميلاد المسيح

فالمسيح كما ذكرنا جاء ميلاده بمعجزه، كما جاءت معه معجزات وأما نحن هنا فبصد ميلاده المعجزه وبداية ذلك كما يلي:

١- التعداد والإصطفاء:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

٢- البشارة:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئِمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

أما كيف حدث الأمر فهو كما ورد في النص التالي:

﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [١٦، ١٧].

فهو قد جاءها على هيئة انسان سوي الخلقه كامل الصورة ليكون قادراً على مواجهتها في حالة اندهاشها واستغرابها كما حدث : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَفِيًّا﴾ [مریم: ١٨]، فاجابها بكلام مفهوم معروف ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مریم: ١٩].. وتستمر في الإستفسار لأن الأمر

خارق للعادة: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فبين لها أن في ذلك آية للناس كمثل آية آدم وآية أمها وآية زكريا مع اختلاف نوع الآيات.. وهكذا بدأت المعجزة بحمل عيسى دون توفر الأسباب لذلك الحمل فمريم لم تتزوج بعد.. وهي لا يمكن أن تكون امراه بغيه أو تتعاطى البغاء سرّاً لأنها معروفة بالتقوى والعبادة والإعتكاف، لذا قالت:

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فأمور الحمل والولادة غير متوفره - طبيعياً - فهناك إذن خارقة أو معجزة حدثت كما حدثت من قبل بهذا الخصوص، وكان ذلك من إختصاص الخالق..

فالذي خلق آدم عليه السلام من تراب، قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام، من غير أب، فذاك آدم خلق من تراب - أي جماد وهذا عيسى خلق من أحياء..

رغم أن ظروف الحمل والولادة لم تتوفر.. وكأني بالخالق يؤكد المعجزات ويكررها بين مرحلة زمنيه وأخرى - إلى أن اكتملت بنزول القرآن المعجزة الأبدية..

فاجتماع الرجل والمرأة، مقمّة للتكاثر، وإن كان ذلك أمراً علمياً بحتاً إلا أن المشيئة الإلهيه تتدخل أيضاً في هذا، فتجعل من اجتماعهما، انثى أو ذكر أو لاشيء -أي عقم- نعم هذا اختصاص رباني لا دخل للإنسان أو للعلم فيه..

فآيات الله في الأرض والإنسان عظيمه وكثيره فلا يمكن أن تضعف إرادته عن خلق عيسى من غير أب، وهو الذي خلق آدم من تراب.. فالأمر ليس غريباً على خالق الكون برمته، فلا يجب أن يستغل هذا الأمر العجيب-على الإنسان

لصالح تأليه -عيسى عليه السلام أو تقديسه، لأنه فقط ولد من غير أب وكأنهم يقولون أنه ابن الله ((أو طفل الله))..

ثم لماذا نبعد كثيراً، إذ ما الفرق بين من لاينجب شيئاً أو هو بالطبيعة عقيم ومن ثم يرزق بولد وهو في التسعين من عمره أو مايقرب من ذلك..

كما حدث للنبي زكريا عليه السلام وزوجته.. أليست هذه معجزة أخرى!! وكذا - امرأة عمران التي هي الأخرى لم تتجب وهي في الظروف العادية التي تؤهلها للحمل والولادة، ومن ثم لا يحدث ذلك إلا بعد فوات الأوان- وكذا إبراهيم عليه السلام، وزوجته، حين بشرته بغلام عليم.. ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ

فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَبَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الحجر: ٥٤، ٥٥]

تلك معجزات.. وآيات الله العظمى في خلقه لعلهم يذكرون.. وكان الأجدى بأولئك، الذين إحتاروا في أمر المسيح بين مصدقين ومكذبين أو هم بين بين - أن يقرأوا تاريخ الرسل والأديان ويروا اضطراد السنن وثباتها سيما مع الأنبياء..

فيتأكد لهم، صدق المسيح وأمه، لاكذبهما.. وحتى الذين صدقوا منهم -غالوا في الأمر، وقالوا هو ابن الله فعبدوه، لذا أشركوا مع الله الهاً آخر وتلك قمة الوثنية والشرك..

فمن لايملك حقائق الاديان، لايستطيع أن يحكم على سلامة الأمور فأولئك لايمكنهم أن يبشروا بما لايملكون إذ ضعف الطالب والمطلوب ..

ومن ثم نسأل كيف كان وقع الخبر على أهل قومها، لنر كيف جرت الأمور.. جاء في النص القرآني في سورة مريم:

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ. مَكَانًا قَصِيصًا ﴾ [٢١] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِئِزِ النَّخْلَةِ

قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿ [مریم: ٢٢، ٢٣]

إذا كانت السماء ترعاها وتتبتها نباتاً حسناً لتؤهلها للمخاض العظيم والأمر الذي سيقالب الدنيا كلها..

فمن البشارة جاءها الهدوء واليقين العظيمين - ومن قبلها تعودت الصلاح والتقوى والصبر، وخلال الحمل كان يرعاها الله ويحفظها من كل كرب.. حتى كيف تعمل حين المخاض، وكيف تأكل وكيف تشرب كل ذلك جاءها عبر الوحي والإلهام والأتحنز ولتحافظ على هدوء حالها ونفسها - فكل شيء ميسر لها..

﴿ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحَمُّكَ سَرِيًّا ﴾ [مریم: ٢٤]

كما يوجهها كيف تأكل وتشرب :

﴿ وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ يَجِئُكَ النَّخْلَةُ سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مریم: ٢٥]

وحتى صراعها مع أهل قومها - وهو الذي توقعته - كل ذلك كان يصلها تباعاً وكان هناك وحياً يوحى إليها فيقول لها:

﴿ فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ أَلْبَشَرٍ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

إِنْسِيًّا ﴾ [مریم: ٢٦].

وبعد أن تثبتها، وتم لها الأمر على خير مايرام، من ناحية الحمل والولادة، وأخذت التعليمات لمواجهة القوم، بعد ذلك..

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ [مریم: ٢٧]

براءة مريم

ومن يومها، تقابل مريم، بالانكران والوجود والتصل منها مع ما كل ما لديها من الرصيد في الأدب والأخلاق والإيمان حتى استحقت وسام البطولة والصبر، فدخلت صفحات التاريخ من أبوابه الواسعة وسطرت سيرتها البريئة النقية الطاهرة في آيات محكمه لا لبس فيها ولا غموض.. ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢).

ومن ثم جاءت براءة مريم عبر هذا النص القرآني: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (التحریم: ١٢) وقد أشارت الى ذلك من قبل وبالنص القرآني أيضاً.. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران: ٤٧)

ولكن الإرادة الإلهية، ارادت ذلك وهي تقول للشيء كن فيكون.. ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧). كل ذلك أدله واضح على براءة مريم، جاءت بالنص القرآني في الوقت الذي تحرف فيه مثل هذه الحقائق في الكتب الأخرى.

إما للتطرف وجعل المسيح ابن الله أو للتفريط وجعل المسيح ابناً غير شرعي لمريم.. لو قرأ دعاة التبشير والإستشراق تلك الحقائق بجديده وحياد، لأدركوا قيمة الدين الإسلامي، فقدروه حق قدره.. ولكنهم يغضون الطرف عن ذلك فيأخذون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه وهم الذين جعلوا القرآن عضيئ.. ونستمر

بتوضيح الأدلة على براءة مريم وكذا سيرة المسيح من خلال النص القرآني - فهي هو الصبي عيسى يشهد ببراءة أمه فيقول:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۚ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٣٠-٣٢]

وعليه يمكن القول: إن هناك قضايا حيوية يمكن استخلاصها من هذه النصوص القرآنية:

أولاً- المسيح عيسى هو ابن مريم وليس المسيح ابن الله- كما قالت النصراني أو بعضاً منهم.

ثانياً- المسيح عبد الله، وليس إلهاً، مقدساً.. وليس، أيضاً هو ثالث ثلاثة وهذا ولا شك هو الشرك بعينه..

ثالثاً- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وهكذا هو رسول إلى بني اسرائيل ليس إلا: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

صفات المسيح عليه السلام

الحق، إن قصة المسيح وسيرته، متداخله بقصة وسيرة أمه مريم، ابنة عمران. ولكن مالذي يجعل حقيقته في القرآن بريئه ناصعه واضحه وضوح الشمس، وهي غير ذلك حتى بين أهل قومه ولم هم ناصبوه كل هذا العداء، حتى يخيل اليهم أنهم صلبوه، وكأنه ابناً عاقاً أو ابناً غير صالح، فلا نسمع من قصته عندهم، إلا الصلب والقتل ووضع الشبهات عليه منذ بدء حياته.. وحتى نهاية حياته أيضاً..

فصفات المسيح في القرآن ناصعة البياض - فهو مبارك، أينما كان.. برأ بوالدته، ولم يك يوماً واحداً جباراً شقياً..

وهو فوق ذلك مقيم للصلاة، عابداً لله منفقاً في سبيله، فإن كان الإسلام بوجه عام، والقرآن بوجه خاص، يريد أن يناصب المسيح العداء، ويهضم له حقاً، أو يحرق سمعته، فلم كل ذلك الوصف والتقدير لشخص المسيح!!..

أيمكن أن يدرج ذلك في سلم العداوات أو الحقد أو التشهير وهو الذي قال عنه:

﴿وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

لم هذا التطاول على أمة الإسلام وعلى كتابهم المقدس.. أيمكن أن يقابل ذلك التقدير، ووضعه وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين - بالانكران والحرب الشعواء على أمة الإسلام.. ومن هو الذي تطاول على شخص المسيح من بين المسلمين، حتى يتطاول أولئك السفهاء على نبينا محمد ﷺ الذي بشر بمجيئه، عيسى ابن مريم نفسه..

لم هم غير قادرين على فهم الأديان وتاريخ الأديان.. وإلا يداً سفيهه تُصَوِّر لهم الأمور على غير حقيقتها، لتبقى النار مستعرة بين المسلمين والمسيحيين، وهم كان الأحرى بهم أن يدخلوا في الإسلام زرافات ووجدانا حين علموا أن القرآن، والقرآن وحده قادر على إفهامهم حقائق دينهم ونبئهم..

فحقيقة أمه مريم، كما علمنا من النص القرآني، أصفى من اللبن، وهي غير ذلك عندهم، وحقيقة المسيح عيسى ابن مريم - في القرآن - هي أيضاً أنقى وأطهر من ماء الزلال.. أيمن بعد ذلك أن يقال أن الذي يدور بين الإسلام والمسيحية هو صراع أديان أو حقائق تصطرع وبعضها البعض؟..

الحق، أنا لأرى إلا يداً إندست إلى التراث المسيحي الأصيل، وعبثت في طياته، حتى تاهت لديهم الحقيقة..

ولا بد أن ثغرة ما تشوه صورة الإسلام لديهم.. وإن لم يكن ذلك فيجب أن نبعد الأمور بأنه صراع أديان، وإنما هو صراع صليبي، مادي - سياسي مع الإسلام.. ولكن كان الدين جسراً لذلك، للعبور إلى ما يريدون.. وسنعلم ذلك جيداً وحقيقته في مواضيع أخرى قادمة.

ولكن علينا، قبل أن نتوه أو نضل، تبيان حقيقة رسالته والمعجزات التي جاء بها، حتى يقنع أهل قومه بأنه رسول من الله إلى بني إسرائيل.. لا غير، وهم الذين كذبوه من قبل في شخصه وشخص أمه، فكيف له أن يقنعهم بما يريد أن يقوله، هذا الأمر تتطلب معجزات أيده الله بها، تجري على يديه.. يستعملها فقط للمحاجة لديهم ولا تنتقل منه إلى أحد غيره.. إن في جيله أو الأجيال الأخرى..

رسالة المسيح

قيل أن المسيح، بعث وهو في الثلاثين من عمره.. وكان جوهر دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة.^(١) جاء ذلك في كتاب أحمد شلبي - مقارنة الأديان، المسيحية وأما المعجزات التي وردت في القرآن الكريم على سبيل النص:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّلِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَشِّرُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]

تلك معجزات أربعه وردت في سورة آل عمران في الآية ٤٩.. أما المعجزة الأخرى، والتي وردت في سورة المائدة فهي التي كانت حاسمه.. حين حاجوه في رسالته وألحوا عليه، حتى الحواريين منهم: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُوتُ يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٣، ١١٢].

وهكذا لما رأى الأمر بهذه الصورة من المحاجة الشديدة وممن!! من قبل الحواريين، وهم المؤيدون الوحيدون لرسالته..

(١). المسيحية/أحمد شلبي/ص ٣٨

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَمَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [المائدة: ١١٥، ١١٤].

وهكذا - من الآيات المذكورة يمكن أن ندرج معجزات المسيح التي أيده الله بها كالآتي:

المعجزة الأولى - خلق طيراً من الطين ..

أحدهم^(١) قال أنه كان يعمل من الطين طيراً على شكل خفاش ثم ينفخ فيه فتسري في جسمه الحركة وتدب فيه الروح.. ومنهم من زاد في الوصف بحيث حدد كم متراً طار، وكيف!! ومنهم من قال أنه كان يجمع الصبيان ثم يخلق أمامهم من الطين طيراً فينفخ فيه فيصبح طيراً ذا حركة ونشاط..

والحق لآتهمنا كيف، ومتى.. المهم أن خلق الطير من الطين أساس وارد وبالنص القرآني، وهذا أمر ليس غريباً على إرادة الله وقدرته، فهناك العصي تحولت إلى ثعبان تلقف مايفك فرعون والسحرة الذين جمعهم.

وهناك إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه كيف يحي الموتى ..

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِم تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

(١). المسيحية/أحمد شلبي/ ص ٢١١ / عن المنار

ولكن المهم في الأمر - أن كل ذلك يتم بإذن الله، فهذا هو عيسى عليه السلام يقول: ((أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)).. فالفعل هو انساني الشكل ولكنه إلهي الروح والإرادة، ولا غرابة فعيسى مخلوق هو أيضاً بمعجزة.

كما ورد فيما سلف.. من هنا نود أن ننبيه الى أن دراسة الأديان والأنبياء تحتاج الى علم وإيمان روحي - وقلبي، ولا تفسر بالعقل والمنطق أو العلم فقط.. فمنطق العلم مثلاً يقول ضرورة تزاوج الذكر والأنثى من أجل الإنجاب، ولكن منطق الإيمان بالقلب والروح يقول:

إبراده أخرى خفيه تتحكم بهذا الكون قد لا يفهمها العلم بقدر ما تفهمها كتب الأديان الصحيحة سيما القرآن..

فكيف لنا معرفة مولد المسيح من غير إيضاحات القرآن وإشاراته، والقرآن لا يخاطب العقل فقط.

ولكنه يخاطب جميع الحواس وعلى رأسها القلب الأمر الذي يجهله دعاة الصليبييه من المبشرين والمستشرقين حين أغلقوا قلوبهم عن حقيقة الله الكبرى.. في الأنفس والأفاق.

وهكذا لا بد من شحذ الحواس بتمامها وكمالها لفهم تاريخ الأديان والرسالات وقصص الأنبياء ومعجزاتهم وسير الأولين والآخرين..

والمعجزة الثانية - إبراء الأكمه والأبرص

وهذه المعجزة تفلسف في أمرها الكثيرون ونحن هنا في هذه الدراسة لاثمنا تلك الفلسفة في قليل أو كثير، المهم أن هذه المعجزة كانت من معجزات المسيح عليه السلام وقد ذكرت بالنص القرآني بحيث لا تحتاج للتأويل وهي من اختصاصه هو

لأمن اختصاص المسيح أو الرهبان أو غيرهم الذين خلفوه من بعده.. فالمعجزات تأتي لظروف ومسببات وتنتهي بزوالهما لأنها غير خاضعة لقانون أو قاعده علميه دائمه فالذي يبقى آلي يخضع للناموس وقانون العقل والعلم اما المعجزات فهي من اختصاص المولى عز و جل ولا تعطى الإياديه ولأسباب وظروف معينه.. وأعتقد أن زمن المعجزات قد انقضى وما بقى فهو خاضع للناموس العلمي بعد أن تشكلت البشريه بشكلها الصحيح والقادره على الفهم والإدراك بعد تمام الرسالات بمعجزه القرآن.. فالمعجزات وسيما الحسيه منها هي وقتيه التأثير تزول بزوال صاحبها أو وفاته وبزوال الظروف فمعجزه موسى- العصا..

انتهت ولا أحد يدعي من بعده بقدرته على فعل ما فعل موسى عليه السلام بعصاه وكذا عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام ..

أما المعجزه الثالثه:

فهي إحياء الموتى، فتلك المعجزه ظهرت واستعملت في زمن صاحبها ولظروف رساله ذاتها، فأمرها قد انقضى ومابقي الإنكراها لعلهم يتذكرون، ولايستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك الحق بأية صورة من الصور..

أما المعجزه الرابعه:

فقد جاءت بنص الاية: ﴿وَأَنبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [ال عمران: ٤٩] .

أي اخبارهم عن طعامهم سيما المجهول منه والتنبؤ به مستقبلاً أو ما ادخروا منه.. و تتمه معجزات عيسى عليه السلام هي المائدة التي طلبها الحواريون -حتى يتأكدوا من صدقه.. وجاء ذلك في النص الآتي قال تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ
وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ [المائدة: ١١٤]

وفعلًا نزلت مائدة من السماء وهو ما يعترف به أهل قومه حتى اليوم - الأمر الذي يؤكد عظمة الله وقدرته لاقدرة المسيح وعظمته.. وهذا يدخل في صميم رسالته وفحواها التي جاء بها وامتلك كل هذه المعجزات من أجل تحقيقها وسنعلم ذلك في موضوعنا التالي..

جوهر رسالة المسيح

ولكن ما الذي جاء به المسيح، حتى أيده الله بكل تلك المعجزات!! أو ما الذي جاء به المسيح حتى امتلك كل تلك المعجزات، أو ماهو الهدف الأساسي من رسالة المسيح..

فالمعجزة الأولى جاءت بمولده.. إذ كان ميلاده معجزة حقاً، ولكنها معجزة لا يصدقها العقل - جاءت معجزة أخرى تفسيريته للأولى فكانت معجزة الكلام وهو في المهد - أي وهو صبي - فهذه كانت بمثابة شهادة براءه لأمه، ولكنها أيضاً بمثابة معجزة وإن لم تتكرر ولاشك أنها لتأييد رسالته، وأنه لم يأت بها من ذات نفسه وهو مؤيد من قوه أعلى من قوته..

وإذا أسلم الإنسان للحس الفطري وما يمتلك من الشعور الديني الفطري فإنه يستطيع الربط بين ذلك الذي أنطقه وبين خالق السماوات والأرض وهي الظاهره للعيان، وأن القادر على الأولى هو نفسه ولاشك قادر على الثانيه وهذا من اختصاص القادر الخالق ..

لذا كانت أولى أهدافه - كما نرى - هي الدعوة للتوحيد الإلهي والتصديق لما بين يديه من التوراه كما يقول هو، ماجئت لأهدم الناموس ولكن جئت لأتمم الناموس، وهذا مانطق به القرآن في أكثر من آيه أنه ما جاء الا للتصديق بالرسالات وبالأخص رسالة التوراه، ومن ثم التبشير برسالة القرآن..

وأن مصدر ذلك كله هو الله - تعالى عما يشركون- فلا داعي إذن للشرك والإلحاد ..

ومن يؤمن بذلك - يدرك إدراكاً عاقلاً ماهية الأديان والرسالة الواحدة التي جاءت بها من حيث الهدف والوسيلة، أما الأهداف فهي:
أولاً- الدعوة للتوحيد

وهكذا نرى أن الهدف الأول لرسالة عيسى عليه السلام هو نفس الهدف الذي جاء به محمد عليه السلام، وهو أيضاً هدف التوراه الصحيحه، لاغرابة فالمرسل واحداً وإن تعدد الرسل ..

وهو الذي أدركه النجاشي ساعة سماعه رسالة محمد عليه السلام وهو المتعمق برسالة عيسى عليه السلام فقال:

((إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة)) ودعوة المسيح التوحيديه جاءت بالنص المطلق في القرآن كما نرى:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ إِنَّهُ فَكَّدَ حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] . وعليه فهو عبد لله جاء برسالة محدده عليه تبليغها.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

إذا القضية الأساسية في حياة المسيح - كانت الدعوة للإسلام وليس لأي دين آخر، وهذا أمر حسمه القرآن في الآية :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْ أَنْصَارِيٍّ إِلَى اللَّهِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ قَالَكُ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

إذا التسمية الحقيقية لأتباع المسيح أو الحواريون الذين ساندوه ونصروه هي أنهم مسلمون.. وهذا اعتراف حقيقي لاجال لتكذيبه ولو أمكن تحريفه وتكذيبه لثم فيما مضى ونحن مستضعفين ويملكنا الإستعمار من أصغر شيء فينا الى أكبر شيء..

ولكن الله حفظه من التحريف أو التبديل.. ليكون أبداً مستند صدق يحسم قضايا الغيب وأخبار الديانات وقصص الأولين وهي التي تغيب عن الناس ولا تغيب عن خالقهم، وهكذا كان..

فالقضية الأساسية مع أهل العلم من الذين أتوا الكتاب ولم يتعصبوا لدينهم كانت سهله، فكم مؤمن بالمسيحية انضوى تحت لواء الإسلام وأصبح من المنافحين عن مبادئه مثله مثل الحواريين من أنصار المسيح الذين قالوا اشهد بأننا مسلمون وها هي آية أخرى توضح ذلك.. ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِثِينَ أَن ءَامِنُوا بِى وَرَسُولِى قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

ولكن قضية التوحيد الإلهي - كان قد جاء بها موسى عليه السلام فلا يمكن أن يكون عيسى قد جاء بقضية واحدة والبشرية قطعت شوطاً بعيداً على درب التوحيد الإلهي.. من إبراهيم إلى يعقوب ويوسف ومن قبلهم نوح وهود وصالح.. الخ

فلا بد أن في الأمر قضايا أخرى جاء بها أو للتذكير بها، وأن هناك ظروفًا أخرى اقتضت مجيء نبي مثل عيسى للتذكير بما ذُكر به موسى وهو الذي جاء أيضاً لبني إسرائيل.. والمعروف من الظروف البيئية التي كانت تسود تلك الفترة وأهلها هي ظروف مغرقه في الوثنية المادية وحب الشهوات والتمادي في أكل أموال الناس واستغلالهم بالربا وغيره والتطفيف وخسران الميزان..

وكل ذلك قضايا أساسية في الرسالات السماوية، كما هو معروف في رسالة شعيب في الميزان والتطفيف.. وكذا مع غيره من الأنبياء...

ثانياً- العمل الصالح

والقضية الثانية.. التي جاء المسيح من أجلها، هي الدعوة للأعمال الصالحات، وهذه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد الإلهي المطلق إذ أن الوثنية المادية واتباع الشهوات وترك الأعمال الصالحات كانت ظواهر أساسية في النظم الوثنية قال تعالى: وهو العالم بأخبار الأولين.

﴿خَلَفَ مِنْ بَٰعِثِهِمْ خَلَفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

وهكذا كان المسيح من يومه، لابل.. من بطن أمه روحياً في حياته وفي دعوته، وقد نبه قومه إلى مساوئ التماذي في الغي المادي واتباع الشهوات ودعا للزهد والتواضع واتباع الصلوات والإنفاق في سبيل الله، ورفع الظلم عن المظلومين ..

وهذا أيضاً مادعا إليه الإسلام.. وما جاء من أجله الرسول محمد بن عبد الله، لا غرو فدعوته ودعوة الإسلام يصدران من سراج واحد.. وهكذا، يمكن أن نلخص

الأعمال الصالحات التي يدعو إليها المسيح تحت بنود رئيسيه محدده وإن تفرعت إلى تفاصيل وتفاصيل وأعمال ثانويه..

إلا أنها تنصب على الأطر والقواعد أو المبادئ الإسلامية الآتية. العبادات، المعاملات، والأعمال الصالحة وسنناقش كل منها بنوع من التفصيل..

أولاً- في العبادات

دعا إلى الخلوص في العبادة، لله وحده ولا أحد غيره كما أوردنا سابقاً في القضية التوحيدية والعبادة، أنواع - الصلاة والزكاة .. الخ

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وقبلها في نفس الآية تقريباً أو الآية التي قبلها : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

فالإيمان كما نرى يستتبع العبادة والخلوص لله تعالى وحده وكما رأينا كانت الصلاة أساس العبادات لديه أو هي عماد الدين فهي مظهر من مظاهر الخشوع لله. تأت بعد الإعراف بالقلب والإقرار باللسان، بأن الله وحده هو المعبود وهذا هو ما جاء به الإسلام فأى فرق بين ما جاء به محمد بن عبدالله، وما جاء به عيسى بن مريم ..

فإن كان من فرق.. فهو التمام والكمال لكل الرسالات - جاء برسالة محمد القرآن، فهي الكل والتوراة والإنجيل أجزاء ولا يوجد تناقض واحد بينهما - طبعاً التوراة الصحيحه والإنجيل الصحيح الذي نوه عنهما القرآن.

والعبادات التي جاءت في الإسلام كانت أكثر تفصيلاً منها في التوراه والإنجيل حيث جاءت رسالة القرآن بالصوم والصلاه والزكاه والحج وبداية ذلك الشهادتين.. ولكن الأساس واحد والعباده لإله واحد..

ثانياً- المعاملات والأعمال الصالحة

فأول قضيه ناقشتها رسالة المسيح هي قضية المراه التي كانت مظلومه ومقهوره في العهود التي سبقتة أو بين القوم الذين جاءهم فأول ما أوصى الاببر الوالدين وهي نفس القضيه التي جاءت بها رسالة محمد.. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فالعباره كانت أولاً.. وبر الوالدين ثانياً هذا ترتيب الأولويات في الرساله القرآنيه.. أما في رسالة المسيح فيقول المولى عز وجل على لسانه.. ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

فالأمر أكثر من واضح، إذ ما دام المسيح لايملك من الوالدين إلا الأم فقد جاء البر، هنا خاصاً بالولده، ليؤكد بنفس الوقت قضية براءة أمه وأنه مولود من غير أب.. ويدخل ضمن بند المعاملات والإحسان للناس والتودد اليهم باللين واللفظ والأخذ بيد الضعفاء والفقراء منهم.

وذلك الأمر من أكبر وأول اختصاصات رسول الإسلام محمد بن عبد الله وهو الذي جاء فقيراً - يتيماً لاحول له ولاطول، بذأ عرف كيف يوصل الحقوق

والمعروف للفقراء والمحتاجين والمساكين والضعفاء وهي المراحل التي مر بها قبل أن يصير نبيا..

ثالثاً- العدل في الحكم

أما القضية الأخرى، بعد الدعوة للأعمال الصالحة وبعد قضية التوحيد الأولى التي ناقشناها في بداية هذا الموضوع فهي قضية الحكم والعدل فيه وقد جاء ذلك في التوراه والإنجيل بنصوص قرآنيه واضحه وجهت للرسول محمد بن عبد الله، حين طلبوا منه أن يحكم بينهم ..

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].

وليؤكد على حقيقة التوراه الصحيحه وقربها هي والإنجيل من الإسلام يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤] .. وأما الآية الشامله لذلك فهي: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [المائدة: ٤٦].

فإن كانوا يبيغون الحكم، الحكم العادل.. والقول الحق فهو موجود لديهم ..

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

لو فعلوا ذلك.. وعلى أساس من الإنجيل الصحيح لوجدوا أنفسهم والمسلمين في مرتبة واحدة ومن ثم اختاروا الإسلام شريعة لهم، فهو شامل لكل أحكام التوراه والإنجيل وهو مبرأ عن التحريف والتبديل وهذا عهد من الله..

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فذلك هو الحكم الإلهي ((أفحكم الجاهلية يبغون)).. فالله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمساكين وابن السبيل.. الخ

الموقف من رسالة المسيح

أولاً_ من الأتباع:

وهكذا فهمنا فهماً صحيحاً، ومن كتاب لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه - حقيقة المسيح، وحقيقة رسالة المسيح فكانت حقيقة المسيح ورسالته في القرآن، ناصعة البياض..

كيف لا وهي نوطنة لمسيرة الإسلام ومجيء القرآن وكان تبشيراً برسول يأتي من بعد عيسى اسمه أحمد ((محمد ﷺ))..

وقبل ذلك رأينا، كيف كانت حياته - مع أهله وذويه وأهل بيته وأخص بالذكر هنا أمه.. كيف كان باراً بها.. وأخلاقه وكرمه، كل ذلك استحق عليه الذكر بآيات ونصوص قرآنية لاتزول مادامت الحياة.. إنها شهادة تقدير من المولى عز وجل لهذا الإنسان، والنبي العابد المخلص في عبادته لله، كان حامداً شاكراً لأنعم الله، لم يفكر قط بملىء معدته، جل همه كان ملىء روحه وقلبه بالإيمان..

تلك حقيقة المسيح برزت واضحة في القرآن الكريم.. وبعد ذلك يقال أن الإسلام هضم حق المسيح.. لا أعتقد أن عقلاً واحداً يقرأ تلك النصوص، يمكن أن يتهم القرآن بالتحيز والإسلام بالتطاول على شخص المسيحي.. وحتى رسالته التي جاءت في الإنجيل - والتي ابرزناها بنصوص قرآنية، كانت هي توطئه لمبادئ الإسلام وتصديقاً له كما هو مصدقاً لما بين يديه من التوراه والإنجيل ..

فلا حق المسيح مهضوم ولارسالته مهضومه، في النصوص المعترف بها في الإسلام.. أما إن تطاول أحدهم عليه، فهو تطاول شخصي لايعبر إلا عن رأي صاحبه.. ومثل ذلك حدث في الدين المسيحي من أتباعه، وحدث مثله في الدين الإسلامي ومن أتباعه أيضاً.. الفرق أن التطاول والتحريف إن حصل.. له تأثيره على التوراه والإنجيل، أما القرآن فلا أحد قادر على ذلك، فذلك وعد من الله.. لأنه يقول عنه إن فيه قول الفصل لكل الأمم والأديان ولأخبار الأمم والأولين..

ولكن مادام الامر كذلك، من اليقين والوضوح بخصوص الإنجيل الذي نحن بصدده أو رسالة المسيح المنصوص عليها في القرآن، نعم مادام الأمر كذلك فما هي الانحرافات والأباطيل التي دخلت رسالة المسيح المعترف بها من السماء ..

وكيف حدث ذلك الزيف والأباطيل!! وإن كان القرآن جامع للأخبار والقصص، أليس الأجدر به أن يذكر ماحدث من انحرافات في الرسالات المذكوره..

كل ذلك حدث ومنصوص عليه في القرآن الكريم بنصوص واضحة لتبيان قصة الذي حدث في الإنجيل من تحريف أو تبديل، وكيف حدث!! وما الهدف من ذلك التحريف.. وهل كان لذلك التحريف أثر على إذكاء الفتنة بين المسلمين والمسيحيين.. كل ذلك سنأتي عليه في الصفحات القادمة:

كان الإحراف الأول هو في المبدأ الأول لرسالة المسيح وهو:

١- التوحيد المطلق والإيمان بإله واحد، لا شريك له.. والتعريف الذي حصل هو الشريك بالله وأما الشركاء فهم:

المسيح نفسه وهذا بسبب المغالاة في حب المسيح - الأمر الذي قالوا عنه شتى الأقاويل، من أجل تقديسه وتقديره.. حتى أصبح شأنهم وشأن الذين يعبدون الأوثان سواء فاستبدلوا الله وعبادته وتقديسه بعبادة المسيح أو تقديس المسيح، وهو لفرط حبهم له:

﴿وَقَالَتِ الْتَصَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]

٢- تقديس أمه مريم: وهذا منصوب عليه أيضاً بالقرآن لتبرئة ساحة عيسى مما يفترون.. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١ أما اعترافه فهو يقول:

﴿قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٣- تقديس الرهبان من بعد المسيح أو الأقباط، إذ تأصلت فيهم الوثنية وعبادة الأشخاص، كان الأول المسيح.

ومن ثم بحثوا عن شخص تنقمص فيه شخصية المسيح فكان البديل الراهب أو البابا - وهو الإنسان الممثل الشخصي للرب على الأرض بدلاً من المسيح.. لذا

هو السيد المطاع، وهو الذي يمنح صكوك الغفران لأنه الواسطه إذ لاسبيل إلى الله عندهم إلا بواسطه، وهذا هو الوسيط وهو مذكور عليه آيات في القرآن وبالنص..

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وهكذا اتضحت حيثيات القضية فبان المسيح على حقيقته في القرآن من طهر وتقدير..

وذاك هو التزييف، الذي حصل من أحباء المسيح والذين هم قدسوه، فتارة هو الرب الحقيقي وتارة هو المتقمص لله في شخص المسيح والثالثة هو ابن الله - كما رأينا فيما سلف وهذا الخلط والشرك بالله استتبع معطيات كثيرة وحقائق مشوهه عن الأديان الأخرى، مما أدى بادية ذى بدء إلى تقديس المسيح وإنكار ماعداه والإيمان به وتقديسه والكفر بما جاء به الرسول (محمد ﷺ)..

وكلها قياسات مادية مصلحيه لا تصل الى حقائق الأمور وجنورها وهذا قصور في فهم الرسالات السماويه..

وأخذ انطباعات خاطئه عن الخالق لأن التراث الذي نهلوا منه فيه تغيير وتبديل يخدم المصالح والأهواء والتيارات السياسيه لاغير..

ولاغرو فالحقيقه الكبرى - حقيقة الله، تجسمت في شخوص إنسانيه تتركها الأبصار، وكان الملكوت السماوي انتقل بنزول المسيح أو بمجيئه، إلى الأرض..

من هنا يجب أن نتوقف طويلاً عند هذا التغيير وهذا التحريف للحقائق وهي التي فعلت فعلها في الصراع الإسلامي المسيحي حتي لكأنهم يصورون الله

بصيغه مقبولة لديهم ولكنها غير مقبولة للأخريين فكان الإله - إلههم والملوك السماوي هم رؤساؤه، كيف ل اوهم أتباع المسيح والمسيح هو الرب :

((سبحانه وتعالى عما يشركون)) وقد قال لهم ألف مره ومره أنه لايزيد عن عبدّ الله، الواحد القهار وأمه صديقه تأكل كما يأكلون وتشرب كما يشربون وهو وأمه سواء..

إذا كان ذلك من أحياء المسيح والمؤمنين برسالته فما الذي حصل من أعداء المسيح، هذا ما سنراه في الموضوع التالي..

ثانياً - من الأعداء:

القضية الأولى، كانت متعلقه بميلاد المسيح وبراءة مريم فالذين افترضوا على أمه بالكذب والبهتان والقول الزور وطعنوها في شرفها كثر.. وهي من ذلك براء بشهادة السماء..

﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]

والذي يتهم شخصاً ما - وفي أعز ما يملك لا بد أن يُحرّف ويضلل من حوله ليصدقوه فيما يقول لذا دار اللغظ حول المسيح وأمه ومن الذين كفروا به وكذبوا برسالته وهؤلاء اتخذوا الجانب العدائي من رسالة المسيح.. وإن كان عداؤهم واضحاً وجلياً إلا أن الإفتراءات حول رسالة المسيح وما جاء به أخذت عدة أشكال واتجاهات..

فالتي لم تنتفع في دحض رسالة المسيح اتجهوا إلى فرية أخرى لعلمهم ..

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مِمَّنْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] .

وهؤلاء الذين ناصبوه العداة: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ

اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] .

وهم من بني إسرائيل أو غيرهم قالوا عنه شتى الأقاويل كما يخبرنا به

القرآن.. وهذه جراه لامتثال لها، إلا أن القرآن يذكر غير ذلك.. فيقول تعالى: ﴿وَمَا

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. ومن ثم اختلفوا بينهم، بين مصدق ومكذب فاتبعوا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً..

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعْنِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا

قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] .

وهذا الشك أحدث اضطراباً في الإعتقاد، بين أهل الكتاب فالتمس البعض

المبررات لموت الرب ودار حول ذلك لغط كبير وتفسيرات كثيرة كيف لا، والحقيقة عندهم غير واضحة..

فمنهم من قال بعقيدة الصلب وأمن بها كي يبرر الذي سمع به أو رآه أمام

عينيه - وهذا أيضاً أحدث اضطراباً في العقيدة وأسسها لابل أتى عليها من القواعد..

فإنه حي لا يموت فكيف يموت ويصلب المسيح، إذ كيف يكون الرب بمثل

هذا العجز غير القادر حتى الدفاع عن نفسه.

فما بالك بنصرة المستضعفين في الأرض.. وأصبح القوم حتى يومنا هذا

يفسرون ذلك كما يحلو لهم..

أما فأحيلهم إلى القرآن العظيم ليختصروا الزمن فيعرفوا الحقيقة التي ضاعت وكان لضياها أثرٌ عظيم على الأمم والشعوب والأفراد.. نحن هنا نورد رأي القرآن في المسيح، وأن المسيح لم يقتل ولكن الله رفعه إليه ليظهره من الذين كفروا وهذا جاء بالنص الآتي:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُاعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
[آل عمران: ٥٥].

نهاية المسيح

نعلم أنه قد حدث لغط كبير حول وفاته أو رفعه كما سنرى:

نعم كما يظهر من الآيه السابقة أو غيرها، حدث اختلافات كثيرة حول مصير المسيح الحقيقي إن كان قد مات على الأرض ودفن فيها أو رفع إلى السماء بروحه وجسده ساعة الهجوم عليه للقبض عليه ومن ثم صلبه.. وما لنا من حيله هنا بعد أن حصل الاختلاف في التفسير إلا أن نعرض بعضاً منها ومن ثم نعرض في نهاية المطاف لرأينا في الموضوع.

ونبدأ بتفسير المنار يقول محمد رشيد رضا في هذا التفسير عن الآية (٥٥) آل عمران المذكورة سابقاً ما يلي: (١)

روي عن ابن عباس أن تفسير التوفي هنا بالإماتة كما هو الظاهر.. وعن ابن جريج - تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع انقاذه من الذين كفروا.. وقال ابن جرير بسنده عن ابن جريج.. فرفعه إياه - توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا..

(١). تفسير المنار/ جزء ٦

أي ليس المراد الرفع إلى السماء لا بالروح ولا بالجسد ولا بالروح فقط..
والمشهور بين المفسرين: وغيرهم أن الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى
السماء واستدلالهم على ذلك بحديث المعراج الذي رأى فيه النبي (ﷺ)..

عيسى ابن مريم وابن خالته يحيى في السماء الثانية ويستمر فيقول، ولو كان
هذا يدل على أنه رفع بروحه وجسده إلى السماء لدل على رفع يحيى وسائر من
راهم من الأنبياء في سائر السماوات.. ولم يقل بهذا أحد.

أما الإمام الرازي فيقول في قوله تعالى: (إني متوفيك..) أي منهي أهلك
ورافعك إلى أي رافع مرتبتك، ورافع روحك إلى ومطهرك، ومخرجك من بين
الذين كفروا (١).

أما الشيخ شلتوت، شيخ الجامع الأزهر سابقاً فيقول إن كلمة التوفي تعني في
القرآن - الموت، حتى صار هذا المعنى.. هو الغالب عليها.. ويقول الألوسي في
روح المعاني عن (إني متوفيك) أي إني مستوفي أهلك ومميتك موتاً طبيعياً أما
الرفع بعد الوفاء، فهو رفع المكان لا رفع الجسد..

أما ابن حزم فيقول في الأهواء والملل والنحل - وهو يتحدث عن المسيحية،
إن الوفاء تعني الموت الحقيقي، وهو يقر بعودة المسيح ثانية.. وهكذا نرى أن
مجموعه كبيره من المفكرين..

نرى أن المسيح قد مات ميتة طبيعية شأنه شأن أي إنسان مات، أو أي
نبي وهو كمثلهم وقال مثل ذلك الأستاذ محمد أبو زهرة والشيخ المراغي.. إلخ (٢).

(١). المسيحية/ص ٥١

(٢). المسيحية / ص ٥١-٥٢

ومن هذا يقرر أحمد شلبي في كتابه المسيحية ما يلي:

إن القول بأن عيسى قد رفع بجسمه وروحه هو اعتقاد متأثر بالإتجاه المادي في الإنسان ومتأثر كذلك بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى عليه السلام هو الإله الإبن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله - الأب.. إلخ^(١).

ويستطرد فيقول: أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد وأنه في كل مكان وليس جسماً فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى، ليكون مع الله..

..فالله في كل مكان، ولو بقي عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً وكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِّن قَبْلِكَ أَكْثَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولا بأس ان أضع رأياً حول الموضوع أو هذه القضية المهمة:

١. إن الإنسان أي إنسان لا بد أن يخضع لظاهرتي الموت والحياة ومن دونهما لا تتم له الحياة على الأرض - إلا أن أمثلة للوفاة قد تظهر ولكن الى حين مؤقت.

ومثل ذلك النوم والإغماء - فقدان الوعي والحركة لبعض الوقت والموت أيضاً قد يتم بعدة أسباب، بالقتل أو بالمرض.. أو بدون ذلك فقد يموت الإنسان أو الحيوان وهو واقف ودونما سبب ظاهر وصدق الشاعر وهويقول:

من لم يموت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وهكذا فالموت الحقيقي واحد، وهو الموت الذي يدوم أجله فلا يرى بعدها الميت ولا يأكل ولا يشرب ولا يمشي.. وكما قلنا هذا الموت لا بد أن يمر به كل

(١) السبعة/ أحمد شلبي/ ص ٨٥

كائن حي.. حتى ولو بعد ألف سنة من العمر وهو ما يسمى بأرذل العمر كما حدث لنوح الذي عاش أكثر من ألف عام..

وكذا الحياة فإنها بداية الشيء على الأرض أو بداية الكائن الحي على الأرض - وهي تأذن ببداية حركته ومشيه وسمعه وإبصاره وإدراكه وأكله وشربه.. ولكن الحياة تخضع لنظام ثابت وهو التزاوج بين الزوجين الذكر والأنثى، وبدونهما لا تتم عملية التكاثر اللهم إلا في حالة الإستثناءات.. ومثلها- أن آدم جاء من غير الزوجين الذكر والأنثى وحواء جاءت من غير الأنثى فهي كما يقال خلقت عن طريق آدم .. (وجعل من أنفسكم أزواجاً)..

وعيسى جاء من غير أب- أي مثله مثل آدم خلق من تراب، وليس المقصود هو الطريقة التي جاء بها آدم وإنما بمعجزة كمعجزة آدم الذي جاء من تراب، بادئ ذي بدء.. وعليه يمكن القول:

مادام خلق عيسى جاء بمعجزة، فلم لم تكن وفاته أيضاً تمت بمعجزة سماوية أخرى أو لنقل نهايته بمعجزة سماوية..

٢. إن كلمة الوفاة التي وردت في الآيات قد تعني معاني غير الموت الحقيقي ومثل ذلك ورد عن النوم، أو الإنتهاء من الأرض، وهذا لا يتعارض مع الرفع لأن الرفع معناه أيضاً إنتهاء الحياة الأرضية وقال الحسن عن الوفاة - إنها وفاة منام..

٣. ثم إن الآية تقول: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

إن إنتهاء عيسى من الأرض واختفائه عن أنظار البشر قد تعني النوم أولاً.. أما الرفع فهو المرحلة الثانية.

والتطهير هو الخلاص من الذين كفروا.. وعملية الرفع هنا هي المرجحة لأن معنى الوفاة الحقيقية لا تحتاج كلمة الرفع والتطهير فكان من الممكن أن يقتل بعد صلبه فيموت شهيداً ثم يخضع للآية التي تقول:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (ال عمران: ١٦٩) .

ساعتها تكون الوفاة قد تمت بطريقة عادية، مثله مثل يحيى الذي قتل.. ولكن كلمة الرفع هنا تعني رفعه إلى السماء ساعة محاولة القبض عليه، لصلبه.. ولكن كيف كانت عملية الرفع، وماهي المرحلة التي سبقت الرفع، وكيف غاب عن الأعين..

فهذه قد يكون فيها لغز الوفاة ولكن بطريقة إعجازية كما حصل في ميلاده الإعجازي، فمعجزة آدم عليه السلام معروفة إذ مادام الله جاعل في الأرض خليفة، فلا بد أن يكون خلق آدم أولاً.. لا تهم الطريقة ومن ثم خلق حواء..

أما خلق عيسى عليه السلام من أنثى وبغير ذكر فهذه معجزة عظمى، والذي هو قادر عليها، لأشك أنه قادر على رفع عيسى بمعجزة أخرى وإن كان قبل الرفع قد حصل شيئاً ما. من وفاة عادية أو غير عادية أو إنتهاء عادي أو غير عادي..

وبقي أن نقول أن القتل لم يحدث والصلب لم يحدث أيضاً ولكنه شبه لهم وكان شيئاً ما حصل خلال هذه المحاولة ليتمكن عيسى من الولوج إلى السماء أو أنه وهو مرفوع إلى السماء بإذن الله قد أخذ شكلاً آخر لا يراه الناس ومن ثم إن حصلت الوفاة الحقيقية.. فلم تظهر آثار تلك الوفاة بين مريديه وأتباعه بعد كل هذه السنين من اختفاء عيسى وانتهائه.

ومن ثم لو حصلت الوفاة بالقتل والصلب ألا يمكن أن يكون مطهراً مخلصاً من الذين كفروا كيف لا وهو من النبيين والشهداء والصالحين وهم الأحياء عند ربهم ومن المطهرين..

أما إن كان النصارى هم المستفيدون من ذلك أو غير المستفيدين فهذا أمر آخر لا يجوز أن يقحم في حقائق ثابته..

لأنه قد يحسب من باب التعصب الديني فالأمور لا بد أن تؤخذ على حقيقتها لا تؤخذ بالظن، لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً، والحق أحق أن يتبع، فلا يمكن أن نأخذ بكلمة متوفيك على أنها الوفاة الحقيقية، تحرزاً من مطامع النصارى وتعزيز عقائدهم.. على أن نأخذ بكلمة الرفع هذه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ^{١٥٧} بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ١٥٨، ١٥٧].

قال ابن جرير عن مجاهد: رفع الله عز وجل - عيسى إلى السماء حياً.. والدلائل إلى هذه الآية التي تعني الرفع، كثيرة سقناها فيما سلف يضاف إلى ذلك، أن كلمة الوفاة تعني الإختفاء أو الإنتهاء أو النوم أو الإنحجاب عن الناس، وهذه بعض الآيات قد تساعد على فهم بعض هذه المعاني، قال تعالى في محكم آياته:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠].

يقال أن كلمة - يتوفاكم هنا تعني قبض الروح في النوم وهذا ماورد في تفسير الجلالين وكذا يقول القرطبي: ليس ذلك موتاً حقيقة بل هو قبض الأرواح. أما في الآية الآتية وهي الآية ٤٢ من سورة الزمر فقد تعني كلمة (يتوفى) نفس المعنى

(النوم) قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].
وهكذا يكون الموت واحد ولكن الوفاة ليست واحدة بل هي قد تكون في الموت الحقيقي وقد تكون في المنام.. وكأنه يقول:

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتي لم تمت يتوفاها الله في منامها..)
وهكذا نخلص إلى إستنتاج مفاده..

أن القاعدة الأساسية في الموت - أن كل حي ميت كما هو في الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وأن كل حي لابد من زوجين اثنين - الذكر والأنثى.. وما دامت تلك قواعد أساسية في الموت والحياة فإن عليها استثناءات، فكان عيسى عليه السلام استثناءاً.. من قاعدة الزوجين الذكر والأنثى، إذ جاء من أنثى فقط.. وعليه يمكن أن يكون استثناءً عند وفاته. إذ قال المولى عز وجل: (وما قتلوه) - (بل رفعه الله إليه).. وهكذا نتضح الآيات، وتتقشع الضبابية عن إنتهاء المسيح وطريقة إنتهائه من فوق الأرض، وهو لم يقتل، ولم يصلب ولم يمت بل رفعه الله إليه لأنه لو لم يقصد الرفع المعروف، بل هو التكريم، لما كان مدعاة لهذا النص الواضح لأنه نبي ومطهر ومكرم شأنه شأن الأنبياء مهما كانت طريقة وفاته، بالسيف أو بالصلب أو بالقتل.. ومثل ذلك حصل مع النبي يحيى، كما ذكرنا سابقاً..

أما الآن فتبقى قضية النزول، هل هي واردة أم غير واردة ولنستعين ببعض النصوص القرآنية أو بالأحاديث الصحيحة فنقول:

عودة المسيح الى الأرض

قال تعالى في محكم آياته: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّعُونَ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

وكان الحديث أولاً عن بن مريم والآيات هذه تؤكد حقيقته فيقول تعالى في محكم آياته. وفي مكان آخر من نفس السورة..

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].
 ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [٥٨]
 إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨-٦٠].

وبعد ذلك جاءت الآية التي نحن بصددنا رقم ٦١.. والتي توضح أنه شرط من أشراف الساعة لابد من نزوله قبل حدوثها.. قال رسول الله ﷺ عن هذا الموضوع..

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكماً عادلاً مقسطاً يكرس الصليب ويقتل الخنزير..) هذا الحديث ورد في البخاري ومسلم.. أما الآية الآتية:
 ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وأظن الإيمان هنا - يعني النزول مرة ثانية ليؤكد حديث الرسول فيعدل بين الناس ويتأكد ساعتها أهل الكتاب من صدق رسالته فيؤمنون بصدقها وإيمانهم قد يكون كإيمان فرعون.. بعد فوات الأوان كما يقول أحدهم^(١).
وهكذا رأينا بحق وحقيقه كيف عالج القرآن وبنصوص واضحة حقيقة المسيح ورسالته..

(١) انظر/ في ظلال القرآن /ج ٦/ص ١٤/سيد قطب

الفصل الثاني

حقيقة المسيح في الأناجيل

أما حقيقة المسيح والمسيحية، في الأناجيل فهي مختلفة باختلاف مصادرها وأصحابها ودوافع مؤلفيها أو ناقليها، إذ لم تسلم مسألة واحدة تتعلق بالمسيح وسيرته من الوجود إلى الرسالة إلى المعجزات إلا وقد إكتنفها التشويه أو الحيرة أو الإضطراب أو الشك.. فهي هي حتى مسألة وجود المسيح نفسه تتعرض وما زالت من المفكرين للشك والإختلاف وهذا واضح من مصادرهم ..

(فيقول بولنجيريك والملثفون حوله من أن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق)، وجهر فلني بهذا الشك في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره عام ١٧٩١م، هذا الكلام منقول، بالحرف عن قصة الحضاره لكانت بها.. ول ديورانت، ومترجمها محمد بدران^(١). وفي مكان آخر من قصة الحضاره يقول ول ديورانت..

يرى برونوبور: (أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير).. كما أنكرت المدرسة الهولندية - مدرسة بيرسن ونابر ومثتاس وبعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية.. وفي إنجلترا أدلى w.b.smth بحجج لإنكار وجود المسيح.. أما بخصوص^(٢) الأتباع..

فقد.. أشار هيردر إلى ما بين مسيح متي ومرقس ولوقا ومسيح يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينهما..^(٣)

(١). قصة الحضاره ول. ج ١١ ص ٢٠٢ .

(٢). المصدر السابق ج ١١ ص ٢٠٤ .

(٣). المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠٣ .

أما هنريخ بولس فيعرض - وهو يلخص حياة المسيح - تفسيراً عقلياً للمعجزات، أي أنه آمن بوقوعها ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية.. ورفض دافد استروس، في كتابه عن حياة المسيح^(١).

محاولة بولس، التوفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية وعزا ما في الأنجيل إلى الأساطير الخرافية وأن حقيقة المسيح يجب إعادة كتابتها لحذف تلك العناصر أيًا كانت صورها..

يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: أما الأدلة على وجود المسيح فتبدأ بالرسائل المعزوة إلى القديس بولس.. ويستدرك فيقول: وبعض هذه الرسائل لا يُعرف كاتبها معرفه أكيدة، فمنها ما يؤرخ في عام ٦٤ ولكنها كتبت بعد ذلك التاريخ^(٢). هكذا يقول ول ديورانت في قصة الحضارة.

الأمر الذي يلاحظ معه المرء التفهيمات والإضافات في سيرة المسيح، فكيف برسائله ونصوصها الأصلية، المأخوذة من وحي السماء..

ونحن هنا لا نبحث عن الثغرات في رسالة المسيح وسيرته ووجوده، بقدر ما نؤكد زيف المصادر التي تناولت تلك السيرة أو الرسالة، وعدم معرفتها بالحقيقة لأن سيرته ورسائله عندنا لا لبس فيها ولا غموض - بعكس مصادرهم حتى الأنجيل وهي المعترف بها ضمن الكتاب المقدس، تناولوها بالتشكيك وأول دليل على هذا تعدد الأنجيل فيقول ول ديورانت: (أما الأنجيل فليس أمرها بهذه السهولة لأن الأربع أنجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرًا...)^(٣).

(١). المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠٣.

(٢). انظر/ قصة الحضارة /ول ديورانت ص ٢٠٦.

(٣). انظر /المصدر نفسه ص ٢٠٧.

ويستطرد في القول: ^(١)

إن أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل ترجع للقرن الثالث أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ١٢٠، ٦٠م ويستمر في القول: ثم تعرضت بعد كتابتها، مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها ^(٢)..

من ذلك نرى أن الأناجيل هي صناعة بشرية لاتمت للوحي الإلهي بصلة. وهي لاتعدو أن تكون قصص من تاريخ المسيح أو شيء من مواظله تصورها أو نقلها الأتباع بعد صياغتها بالزيادة والنقصان.. وحسب الترجمة المسكونية: فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل (الأربعة) في نحو منتصف القرن الثاني.. وفي تعليقات هذه الترجمة نذكر (أنه لاتوجد على أي حال أي شهادة تقول بوجود مجموعه من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠) ^(٣)

...هذه واحدة من بعض الآراء حول الأناجيل مجتمعة وتاريخها وهناك

دعوى أخرى يقول بها أ. تريكو A.TIRICO..

حيث استقر العرف على استخدام الكلمة إنجيل في نحو عام ١٥٠م.. والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠ تقريباً التاريخ الذي اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسي. ^(٤) ويقول الأب عبد الأحد داود: ^(٥)

إن رسم كلمة الأنجيل لم يحرر من قبل هؤلاء المبشرين الأربعة أنفسهم

(١). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٢). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٣). انظر/ القرآن والإنجيل والتوراه / مورييس بوكاي/ص ٧٥

(٤). انظر المصدر نفسه ص ٧٦

(٥). انظر /الميزان الطهطاوي/ ٣٩

ولكنه أضيف عليها من قبل الكنيسة مؤخراً أو من قبل مجمع نيقية (٣٢٥م). أما بالنسبة للوحي المسيحي الحالي..

فيقول القديس جوستين والذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على مايسمى بالوحي المسيحي .(مذكرات الرسل).^(١)

أما عن صحة الأناجيل ومصادرها فيقول الناقد الجريء (فاستس):

(إن هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم إلى الحواريين ورفقاء الحوارين ليعتبر الناس.. وقد أذى بذلك المريرين للمسيح إيذاءً بليغاً)...^(٢)

فقد ألف الكتب التي تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات ..

مضمون الكتاب المقدس

أما الكتاب المقدس فقد إشتمل على العهدين القديم والجديد.. أي التوراه والإنجيل، ولكن نحن هنا بصدد العهد الجديد (الإنجيل).. ومضمونه لدى المسيحيين من ثلاثة عناصر أو أجزاء .

أولاً- الأناجيل الأربعة.. متي - ومرقص - ولوقا - ويوحنا.. وهذه الأناجيل، سرد للقصة التاريخية لحياة عيسى عليه السلام، ورسائله ومواظمه يضاف إلى ذلك رسالة تتضمن أعمال الرسل أي معلمي المسيحية وهذه من صنع لوقا.. التلميذ النشط لبولس لابل (الطبيب الحبيب) وهي قطعاً تخص أعمال بولس الرسول أكثر من غيره من الرسل الذين علموا المسيحية..

(١). انظر المصدر نفسه /٣٩

(٢). انظر المصدر نفسه /ص١٩٢

ثانياً - الأسفار التعليمية. وهذه بمثابة رسائل الرسل وهي تقريباً.. واحد وعشرون رسالة أكثرها من صنع بولس نفسه وهي على رأي ول. ديورانت في قصة الحضارة. (وفي وسعنا أن نعد الرسائل الموجهة إلى أهل غلاطيه، وكورنثوس، ورومية من رسائله بحق.. وأن نرجح الرسائل الموجهة إلى تسالونيك وفيلبي، وكولوسي، وفيلمون هي أيضاً له.. بل إن الرسائل الموجهة إلى أهل افسوس نفسها قد تكون أيضاً من رسائله.. ورغم أنه يؤكد أنها لبولس إلا أن كلامه تشوبه بعض الشكوك وهذا الأمر ينسحب على أغلب المصادر المسيحية..^(١)

أما أحمد شلبي في كتابه المسيحية ص ٢٠٥ فيُفصل في هذا الأمر أكثر فيقول ما معناه: إن الرسائل التي تتضوي تحت الأسفار التعليمية هي واحد وعشرون رسالة وهي على الشكل الآتي ..

رسالتان لأهل تسالونيكى سنة ٥٤م.. ورسالتان لأهل كورنثس الأولى والثانية.. رسالته إلى أهل رومه ٥٦، ٥٧م.. ورساله إلى أهل إفسس، وفيلبي، وكولسي، سنة ٦٢، ٦١.. ورسالة أهل غلاطيه.. ورسالتان إلى تلميذه ثيمو ثاوس، ورسالة إلى تيطي وأخرى لفيلمون ورسالة إلى العبرانيين فتكون هذه أربعة عشر رسالة وهي من صنع بولس، والباقي هي على الشكل التالي.. ثلاثة رسائل من كتابة يوحنا.. ورسالتان من كتابة بطرس، ورسالة من كتابة يعقوب ورسالة من كتابة يهوذا..^(٢)

وهكذا نلاحظ أن الأغلبية لبولس، ولذا يكون الكتاب المقدس من صنع أو إحاء بولس ومريديه وأتباعه لامن وحي المسيح نفسه أو مما أوحى إليه، أما

(١). انظر قصة الحضارة ول. ديورانت ص ٢٦٢ جزء ١١

(٢). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٠٥

الظروف التي أملت عليه كتابة تلك الرسائل الأربعة عشرة فهي كما يقول،
ول.ديورانت في قصة الحضارة كما يلي بالنص:

((ولم يكن يكتبها بقلمه، بل كان يملئها، وكثيراً ما يضيف إليها حاشية.. بخط
يده غير الأنيق ويبدوا أنه تركها دون أن يراجعها، تركها بكل ما فيها من تكرار
وغموض وخطأ نحوي)).^(١)

ويقول ول. ديورانت في قصة الحضارة، عن إعرافات صريحة لبولس،
يصفها المؤلف بالرياء الشبيه برياء رجال السياسة فيقول:

صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود.. وللذين تحت الناموس كأني تحت
الناموس لأربح الذين تحت الناموس.. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أنني
لست بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً
فيه)).^(٢)

أما أنا فأقول له نم قرير العين فأنت أهم شيء في الإنجيل.. ويستطرد ول.
ديورانت في كتابه فيقول عن تحولها كأخص خصائص اللاهوت المسيحي فيقول:
واحتفظت الجماعات بهذه الرسائل التي وجهت إليها ولم يكد يختم القرن
الأول حتى كان الكثير منها معروفاً واسع الإنتشار.

ويلق الكاتب على ذلك التراث فيقول: لقد أنشأ بولس لاهوتاً لانجد له إلا
أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح وبولس هذا هو الذي أذاع بين
الناس.^(٣)

(١). انظر قصة الحضارة ول. ديورانت ص ٢٧١ / جزء ١١

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٢٧٣

(٣). انظر قصة الحضارة ول. ديورانت ص ٢٧٢

(المسيح ابن الله) و(حكمة الله). وأما الجزء الأخير من الكتاب المقدس فهو سفر الرؤيا ليوحنا كما يرى ذلك أحمد شلبي في كتابه المسيحية ص ٢٠٦.

وهذه كانت بمثابة رؤيا رآها يوحنا المشكوك في أمره والذي اكتنف حياته الغموض فيقول ول. ديورانت في قصة الحضارة عن يوحنا هذا: (ولقد إنحدر الينا مؤلفان كبيران مقرونان باسمه فضلاً عن رسائل ثلاث ويحاول النقاد أن يرجعوا سفر الرؤيا الى عام ٦٩-٧٠ ويعزوه إلى يوحنا آخر هو يوحنا (اللاهوتي) الذي ذكره بيباس ١٣٥ م..

أما جستن مارتن فيعزو هذا السفر القوي إلى الرسول المحبوب.. لكن يوزبيوس ذكر من عهد بعيد.. يرجع الى القرن الرابع، أن بعض العلماء يشكون في صحة نسبته إليه.^(١)

وفي مكان آخر يقول ول. ديورانت في قصة الحضارة:

((وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع.. ذلك أن سفر الرؤيا، سفر يهودي وأن الإنجيل فلسفه يونانيه)) ..

وبهذا ينكر على يوحنا في إنجيله الرابع أن يكون ذا سمة دينيه.. بل هو فلسفه يونانيه تمت كتابتها في أيام نضجه وشيخوخته ونزعتة الميتافيزيقية^(٢). ويقول أحمد شلبي عن هذه الرؤيا:

(وكان الأجدر بالمسيحيين أن يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهي للخرافات أقرب..

(١). المصدر نفسه ص ٢٧١

(٢). المصدر نفسه ص ٢٧٤

وهو يشير بذلك ما ورد في الإصحاح الثاني عشر من الرؤيا وتصويره المسيح بالخروف المذبوح، وقد قال الروائي الإنجليزي - h.lorance.. عن هذا التعبير بأنه تعبير ناب، جاف^(١).

(١) انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٠٦

الإنجيل

إنجيل متي:

متي كما يذكر البعض كان من أحد الحواريين، ويقال أنه كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا.. ولكن هذا الإنجيل يكتنفه بعض الشكوك، يقول أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان حول الشكوك التي تحيط بإنجيل متي، وكل ما يقوله:

هو أن متي كتب إنجيله باللغة الآرامية، ولكن هذه النسخة مفقودة ولها ترجمة باليونانية ولم يعرف المترجم ولا لغة الترجمة.. وينتهي إلى هنا قول المؤلف.^(١)

وبعد ذلك يعتمدون على أناجيل متي أو غيره - إذا كانت النصوص الإلهية التي ذكرت في إنجيل المسيح الأصلي غير موجودة ولا حتى الكتب الأخرى القريبة من عهد المسيح - موجودة.

فكيف يمكن الإعتماد على كتب مترجمه لا أصل لها. ولا أصحاب، مجهولة الاسم والعمر والهوية، فهذه أنى لها معرفة أخبار الغيب حتى أن البروتستانت المتأخرين، شكوا في كون الفصلين الأولين منه لمتي...

ويقول موريس بوكاي: يتفق الجميع على الاعتقاد بأن متي قد كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ولكن روايته تختلف ويستطرد فيقول:

(ومع ذلك فقد استخدم متي بشكل واسع إنجيل مرقس ويضيف العبارة وهو الذي لم يكن أحد حوارى المسيح (١. كولمان).^(٢))

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي / ص ٢٠٩.

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه، موريس بوكاي ص ٨١.

وذكر أن متي يضع نصوصاً من تأليفه ووصف بأنه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص. ^(١)

حتى أنه قيل ((قد لحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها)) ^(٢)

ويشير هنا الكاتب مثلاً من خلال الفقرة ((الإصحاح ٥١: ٢٧-٥٣ فيقول ليس لها مثل في الأنجيل الأخرى ويقول متي في الأحداث التي تواكب موت المسيح، ((وإذا حجاب الهيكل قد إنشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهر الكثيرون)) ويصف هذا المشهد الكاتب بعدم المعقولية.. ^(٣)

ويقول تريكو عن هذا الإنجيل ما يلي: ((تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً لحماً وعظماً وروحاً)) وهذه الإعتبارات تضع إنجيل متي داخل الجماعة اليهودية المسيحية التي تحاول كما يقول - ا.كولمان:

((أن تقطع العلاقات التي كانت تربطها باليهودية مع الإحتفاظ في نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم)). ^(٤)

وفي الجوهر يمكن أن نستشف خصوصية دعوة المسيح عليه السلام لبني اسرائيل كما يذكر محمد الحاج: ^(٥)

وفي هذا الصدد لائنسي قصة المراة الكنعانية التي طلبت من المسيح أن

(١). المصدر نفسه ص ٨٢

(٢). المصدر نفسه ص ٨٢

(٣). انظر القرآن والإنجيل والتوراه مورييس بوكاي ص ٨٢

(٤). انظر/ المصدر السابق / ص ٨٠

(٥). انظر الوجدانيه في النصرانيه ،محمد الحاج ص ١١٤

يشفي لها ابنتها فلم يجبها بكلمه، وعندما توسل إليه تلاميذه قال:

((ما أرسلت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّه)) متي ١٥-٢٤.

أما و.ل ديورانت فيورد في كتابه عن إنجيل متي وكتابه مثل ذلك: وأنه كتب في الأصل باللغة العبرية أي الآرامية ولكنه لم يصل إلينا إلا باليونانية ويورد هذا القول عن إيرنيوس^(١).

ويرى النقاد أنه من تأليف أحد أتباع متي وليس من أقوال (متي العشار) أحد حوارى المسيح.. ويرى أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يد المسيح ويقال أنه أقدم الأناجيل..^(٢)

إنجيل مرقس

((يتفق الناقدون - كما يرى و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضارة، على أسبقية إنجيل مرقس في الزمن من سائر الأناجيل، وعلى تحديد تاريخه بين عامي ٦٥-٧٠م.

ويقول ((ولنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلا في كتابات بيباس الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول:

((إن يوحنا الأكبر وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها، قال إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس...)).^(٣)

ويضيف بيباس إلى هذا قوله ((وأعاد متي كتابة الكلمات بالعبرية)).. وتختلف الأناجيل حسب رؤى كاتبها لأن المصدر الحقيقي لها لم يعرف بعد..

(١). انظر قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٨ جزء ١١

(٢). قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٨

(٣). المصدر نفسه راجع من ص ٢٠٧

أما ويليم باركلي.. فيرى أن إنجيل مرقس هو خلاصة مشاهدات بطرس ومواعظه كما ذكر أحمد شلبي.^(١)

ولكن ويليم باركلي يرى أن انجيل مرقس كان مصدراً لمتي ولوقا.. وخلاصة ما جاء في انجيل مرقس - كما جاء في ((مروج الأخبار في تراجم الأبرار)) أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح.. وتذكر المصادر المختلفة، أنه صحب بولس، في رحلته التبشيرية الأولى ولكنهما اختلفا واختلفا في برجه.. هذا ولم يذكر أحد عن تاريخ انجيله إلا أنه يقال كتبه باللغة اليونانية..^(٢)

الحق، لا توجد أدلة ثابتة، على مانقول فهذا يناقض هذا.. قالوا: متي استقى من مرقس وآخر قال مرقس استقى من متي وبطرس.. والذي يهمنا من هذا هو اختلاف المصادر في حقيقة هذا الإنجيل، تاريخاً ولغةً، ومصدراً.. فكيف بعد ذلك يمكن الإعتماد عليه كأساس لعقيدة يدين بها ملايين البشر، فالناس بحاجة لهم عند تشذيب أرواحهم وتهذيبها لما هو عاجز عن ولوج عالم الروحانيات والغيبيات.. فهذا اختصاص رباني أذن به لا بل أوحى به مباشرة لرسل مخلصين لاتؤخذ إلا منهم الحقيقة.. أي هو رسالة السماء إلى أهل الأرض لايمكن أن يأتي بطلب من الإنسان فهي رغبة إلهية..

الهدف منها هو هداية البشر إلى الصراط المستقيم أما ما جاء في هذا الإنجيل فقد جاء بطلب من أهالي روما (سنة ٦٣٠-٦٥٠) باللغة اليونانية ومن خلال تعهد انساني، أي بإشراف أستاذه بطرس^(٣). ويتابع صاحب كتاب الميزان: أن

(١). انظر المسيحيه، أحمد شلبي ص٢١٢

(٢). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢١٢

(٣). انظر الميزان للطهطاوي ص١١٢

بعض المؤرخين يقول هو من تحرير بطرس وحتى هذا الإشراف الإنساني والرغبة الإنسانية كانت تتكر ألوهية المسيح إلا أنه أضيفت رغبة ثالثة أيضاً إنسانية..

وهي عبارة.. (المسيح ابن الله).. وهذا يؤكد أنه أو يقول به جورج بوست الأمريكي: في تفسير الكتاب المقدس - بأن ما جاء في الإصحاح ١٦ من عدد ٩-٢٠ لم يكن في النسخ الأصلية القديمة بل أضيفت إليه.^(١) وفوق كل ذلك - كما يقول موريس بوكاي ص ٨٥ إن انجيل مرقس يتناقض مع إنجيلي متي ولوقا بخصوص طلب الجيل آية من المسيح وهي آية يونس عليه السلام^(٢).

وماذا أقول بعد هذا اللغظ الذي يدور حول هذا الإنجيل وصاحبه الذي قيل عنه أنه لا يعتبر من تلاميذ المسيح أصلاً-١. كولمان ص ٨٤.^(٣)

وحتى إذا كان أحدهم من الحواريين أو من تلاميذ المسيح فإن الأنجيل المنسوبة لأحدهم لا تسلم من التحريف.. أو الإضافات الأخرى ممن جاء من بعدهم.. ويضع الكتاب المحدثون أيديهم على إضافات خاصة بخاتمة هذا الإنجيل خاصة ضمن الإصحاح ١٦- الآيات من ٩-٢٠ وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح (بوكاي ص ٨٦)..^(٤)

ويقول ١. كولمان.. في نفس السياق ((أضاف مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضع.. خاتمة ظهور المسيح لا تنتسب إلى مرقس وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى))^(٥).

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص ١١٢

(٢). انظر القرآن التوراه الإنجيل موريس بوكاي ص ٨٥

(٣). المصدر نفسه ص ٨٤

(٤). المصدر نفسه ص ٨٦

ويعلق الأب كاتينجر على هذه الخاتمة بقوله ((لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الإستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته ولا متي، ولا لوقا ولا يوحنا، بالأحرى قد عرفوا هذا الجزء المفقود^(١).

إنجيل لوقا

وهذا الإنجيل.. يكتفه بعض الغموض أيضاً فمن ناحية يعتبر إنجيل لوقا عمل أدبي بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلو من حوش الكلام.. ومن ناحية أخرى كون لوقا نفسه أديب وثني آمن بالمسيحية فلا بد أن هذه الصفة، تلقي بظلالها أو بفنها الأدبي أثراً لا يستهان به على هذا الإنجيل.. هذا غير الصفة - صفته الأولى الوثنية فهذه لا تدع الإنجيل الأصلي على ما هو عليه، فكما يشير ا. كولمان: فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس^(٢).

ونحن نعلم أن المسيح لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل كما تقول النصوص، وفي الواقع نلمس في أغلب الأحيان إضافات وتغييرات إنسانية على رسالة المسيح، لا ينبغي أن تكون وهي رسالة موحى بها من السماء وهذا أشار إليه كثير من العلماء الغربيين والباحثين منهم كما أشار إليه ولفت الإنتباه إليه مورييس بوكاي ص ٨٧..

وهو يعلق على إضافات وتغييرات لوقا مقارنة مع غيره، مما أجبره على القول: أنهم يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية ويعلق بالقول: إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متي وإنجيل لوقا

(١). المصدر السابق/ص ٨٧

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه مورييس بوكاي ص ٨٧

يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن^(١).

ويلاحظ ١. كولمان.. في كتابه العهد الجديد ص ١٨ روايات من إنجيل لوقا لاتوجد في الأناجيل الأخرى^(٢).

وقيل إن رسالة المسيح عليه السلام تختلف في نقاط كثيرة عنها في الأناجيل الأخرى.. والأب كانينجر.. يرى فيه ميلاً عظيماً للأدب، بل يقول: ((إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي)).. أما الأب روجي في كتابه (مقدمة الإنجيل) ص ٧٥ يلاحظ أن الكلمات التي يسوق بها إنجيل لوقا (الإصحاح ٢٢-١٩ - ٢٤) سر القربان المقدس تختلف عنها في إنجيل متي (الإصحاح ٢٦-٢٦-٢٩).. ويقول مارغوسطنوس (إنني لم أكن أؤمن بإنجيل لوقا لو لم تسلمني إياه الكنيسة)^(٣).

أما ما يقول أحمد شلبي في كتابه المسيحية هو: أن لوقا لم يكن من الحواريين ولا من تلاميذهم، بل هو تلميذ بولس. وهذا أيضاً ما ورد في تفسير المنار لما نقل عن صاحب الذخيرة من أن (لوقا كان تلميذاً ومعاوناً لبولس) وأورد بالنص:

((قد أغفل متي ومرقس بعض حوادث وأمر تتعلق بسيرة المسيح، وقام بعض الكتبة واختلقوا ترجمة مموهة ليسوع المسيح، وكثيراً ما فاتهم فيها الرواية والتدقيق فبعث ذلك بلوقا على وضع إنجيله، ضناً بالحق فكتبه باليونانية، وجاء كلامه أصح.

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص ٨٨

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص / ٨٨

(٣). انظر /الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ١١٣

وأفصح وأشد إنسجاماً، من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد، وذهب كثير من المحققين إلى أنه كتب إنجيله في السنة ٥٣ للمسيح، بل سنة ٥١)).^(١)

وتبين أنه كان يحمل إنجيلي متي مرقس وأنه اقتبس منهما ما وافقهما فيه.. وحول الشكوك في إنجيل لوقا نورد قول الدكتور بوست في قاموسه أن البعض يظنون أن لوقا من مواليد أنطاكية وأن بولس هو مؤلف الإنجيل وما لوقا إلا كاتبه ويعلق أحدهم بالقول:

((ولعل الذين قالوا إن بولس هو الذي كتب هذا الإنجيل هم المصيبون لمشابهة أسلوبه لأسلوب رسائله باعترافهم.. وهذا القول ليس غريباً فيبدو.. أن علاقة وطيدة كانت تربط لوقا ببولس، وهو الذي قال عنه (إنه الطبيب الحبيب) ويذكر أحمد شلبي في كتابه (المسيحية) أن لوقا آمن برسالة بولس وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها.^(٢)

ومثل ذلك ورد في قصة الحضارة: عن إنجيل لوقا..

((أنه، كان صديقاً لبولس، ومؤلف سفر أعمال الرسل وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس، كما يقتبس منها متي، وإنك لتجد في إنجيل متي ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها إنجيل مرقس.. وتجد ثلاثمائة منها وخمسين في إنجيل لوقا.. تكاد أن تكون هي بنصها..

وفي إنجيل متي كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقس وتكاد تكون هي بنصها ويبدو أن لوقا أخذ هذه عن متي.. ويقول أيضاً: أو أن لوقا ومتي أخذاهما عن أصل مشترك لم نعرث عليه بعد)).^(٣)

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٥

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٢١٥

(٣). انظر قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٩

إنجيل يوحنا

يقول عنه و.ل ديورات في كتابه قصة الحضارة

((إن هذا الإنجيل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية، بوصفه كلمة الله وخالق العالم، ومنقذ البشرية وهو يناقض الأنجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة..

التي يرسمها للمسيح ويرى أن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة الأمر الذي يشكك فيه البعض من أنه منسوب للرسول يوحنا.^(١) ويستطرد مؤلف الكتاب في قصة الحضارة فيقول:

وملاك القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأنجيل والبعض الآخر.. والتناقض في الأنجيل ظاهر وجلي، مما يدعو للشك والريبة في مصادرها، الأساسية والفرعية وحتى إنجيل يوحنا هذا جاء تأليفه باليونانية بين سنة ٨٩،٩٨ م.. ثم ترجم إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة.^(٢)

ووسط هذا الانتقال والتحول من أصل إلى فرع - إلى آخر لم يسلم أن يأت أحدهم فيقول (استالن):

((إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تتكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا وهذا الكلام مقتبس عن دائرة المعارف البريطانية (٢٦٣).^(٣)

(١). المصدر نفسه ص ٢٠٩

(٢). المصدر نفسه ص ٢١٠

(٣). انظر / الميزان في مقارنة الأديان / ص ١١٤ / محمد الطهطاوي

إزاء ذلك لايسعنا في هذا الصدد إلا أن نسلم بالحقيقة التي ترد من مصادرهم.. فإن كان من زيادة أو تحريف فيما يقولون.. فهم بالحري - أو الأجدر بهم - أن ينتبئوا من النصوص الواردة في كتبهم وهذه الإضافات أو الإضطرابات مبنوثة في كل زاوية وناحية..

وهي ليست بالنادرة بحيث يمكن تجاوزها فالكتب مملوءة بمثل ذلك فهذا موريس بوكاي يقول:

عن الأب روجي قوله عن هذا الإنجيل (إنه عالم آخر).. أو هو مختلف عن الاناجيل الأخرى نعم ففي إنجيل يوحنا روايات غير واردة في الاناجيل الأخرى والترجمة المسكونية تشير إليها^(١)

ويعتقد ا. كولمان.. أن بعض الإضافات واضحة في هذا الإنجيل مثل الإصحاح ٢١ فيقول أو يعتقد:

أنه من عمل أحد التلاميذ وقد أضاف بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.. أي كما هو غيره، طالته يد الرغبة الإنسانية بشيء من التصرف، استجابة لبعض الظروف أو الاحتياجات الخاصة، فيقول موريس بوكاي:

وإذا نظر إليها القارئ على أنها كتابات ظرفية أو خصامية، تبرز علامة واضحة أنها من صنع الإنسان.^(٢)

ويرى صاحب تفسير المنار.. أن يوحنا هذا هو أيضاً من تلاميذ بولس وقد جاء -إنجيله باليونانية- ليؤكد ألوهية المسيح ..

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص ٢٨٣

(٢). المصدر نفسه ص ٧٩

وهذا أيضاً، أكد عليه أحمد شلبي في كتابه المسيحية، ولكن يضيف هذا-
الأخير، إلى أن دائرة المعارف البريطانية..

تؤكد أنه ليس الحواري يوحنا ابن زبدي الذي أحبه المسيح.. وكذا قالت
دائرة المعارف الفرنسية شيئاً من هذا.. وننقل الآن ما أورده أحمد شلبي عن دائرة
المعارف البريطانية، لعله يكون الجواب الشافي على هذه القضية ((أما إنجيل
يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنين من
الحواريين أحدهما للأخر.. وهما القديسان يوحنا ومتي..

وقد ادعى، هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه
المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها.. وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا
الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً على أن صاحبه غير يوحنا يقيناً^(١).
ونكتفي بهذا القدر من النص الذي أورده دائرة المعارف البريطانية.

والحق، بعد هذا. لا يمكن القول بأحقية هذه الكتب أو هذه الأنجيل، بتأسيس
مباديء المسيح الأصلية الواضحة والجلية في التوحيد والإيمان والعمل الصالح ..
وهؤلاء، ومثلهم ينسجون من خيالاتهم صوراً وثنية لصورة المسيح الحقيقية
لاتخدم المباديء، والقيم الدينية التي جاءت الرسالات السماوية، من أجل بثها بين
المظلومين تبشرهم بالخلاص والإنعتاق من الظلم والعبودية والشرك..

إنجيل برنابا

وقبل أن ننتهي من الحديث عن الأنجيل.. وبعد أن سردنا صفة الأنجيل
الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين - لابد أن نرى، ماهية وصفة إنجيل برنابا.. وما
قصته مع المسيحيين، حتى أخرج من الساحة العقائدية..

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٤

وما هي الأمور العقيدية التي التزم بها حتى نُبذ، وترك جانباً لعلنا نصل إلى الحلقة المفقودة في هذه العقيدة التي شوهت تشويهاً لا تخدم الهدف الذي جاءت من أجله، وهو التوحيد بالله والزهد بالمادة وترك الشهوات والموبقات من ممارسة الزنا والربا وشرب الخمر.. الخ ورد اسم برنابا، في رسالة أعمال الرسل (ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا..)^(١).

وفي انجيل برنابا يأتي اسمه، بين الحواريين الإثني عشر قد جاء في انجيل برنابا ما نصه: (فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله، جمهور غفير صعد الجبل، ومكث كل الليلة بالصلاة، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثني عشر اسماً هم رسلاً - منهم يهوذا الذي صلب وأسماءهم هي:

اندراس، وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذي كتب هذا مع متي العشار الذي كان يجلس للجباية ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي وتداوس ويهوذا وبرتولوماوس وفيلبس ويعقوب ويهوذا الإسخريوطي.. الخائن)، ورسالة الأعمال، تذكر كثيراً من أخبار برنابا، ولا تذكر سيرته إلا مقرونة بالخير والصلاح وقيل أنه من الرسل السبعين.. ((وأنه أرسل إلى أنطاكية ولما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب)).^(٢)

ويرافق برنابا بولس، في رحلته التبشيرية إلى أنطاكية وهو الذي عرفه على جميع التلاميذ، وكان الجميع يخافونه، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم، كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع)).^(٣)

(١). انظر أعمال الرسل ٤-٦

(٢). أعمال الرسل ٤-٢٦

(٣). انظر أعمال الرسل ٩-٢٦، ٢٧

وقيل أن خلافاً وقع بين برنابا ويولس وأن سبب الخلاف - كما تذكر بعض المصادر - هو مرقص صاحب الإنجيل.. وتذكر ذلك أيضاً رسالة الأعمال، (١٥-٣٦،٤٠).

وأيضاً ورد في أسفار العهد الجديد إلا أن الخلاف الجوهرى ليس حول مرقص المذكور أنفاً وإنما في نية يولس الكامنة في نفسه وهو القول أن المسيح ابن الله.. وهناك من يدلنا على الطريق فيها هو (بطرس فرماج) في عيون الأخبار في تراجع الأبرار يقول: أن مرقصاً كان ينكر الألوهية بعكس يولس وهذا أمر خطير في نظر برنابا.. لأنه يقوّض تعاليم المسيح ويأتي على قواعدها الأساسية.^(١)

وربما لهذه الأسباب، اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر إلا في القرن السادس عشر الميلادي.. إذ عثر راهب ايطالي يسمى (فرامونيو) في مكتبة البابا سكتس الخامس على رسائل للقديس إيريناوس الذي كان تلميذاً للقديس بوليكراب والأخير كان تلميذاً للقديس يوحنا الذي كان حوارياً وتلميذاً للمسيح عليه السلام، ومع الرسائل رسالة تتدد بالقديس يولس.. بعد أن تأثر بهذا الإنجيل (إنجيل برنابا) فأخذ الراهب شديد الرغبة في الإطلاع على إنجيل برنابا، حتى عثر عليه في مكتبة البابا الخاصة.^(٢)

وفي إنجيل برنابا أخبار صحيحة وهامة عن رسالة المسيح.. إن لم يكن هو إنجيل المسيح الأول.^(٣) وهكذا نرى أن برنابا هو من الحواريين، وإن لم يكن منهم فهو من الرسل السبعين كما يذكر أحمد شلبي في كتابه المسيحية.^(٤)

(١). انظر النصرانيه محمد الحاج ص ٢٨٥

(٢). انظر الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ٢٤٩

(٣). انظر المصدر نفسه ص ٢٤٨

(٤). المسيحية أحمد شلبي ص ٢٢٤

وقد كتب برنابا في إنجيله الأسباب التي دعت له لتأليف إنجيله ولنسمع ما يقول: ((أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمته عظيمه للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان، ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين (المسيح ابن الله).

ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجّوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عددهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته.. أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد.. مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً)).. وفي إنجيله أنكر برنابا ألوهية المسيح، فيقول قول عيسى عليه السلام وهو ينكر ألوهيته.

((إنني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر.. لأنني بشر مولود من امرأة وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر، وعرضه للشقاء العام)) (الإصحاح ٩٤: ١-٢).

ويقول: الحق أقول لكم متكلماً من القلب، أنني أقشعر لأن العالم سيدعوني إليها).

نلاحظ، من الذي جاء في إنجيل برنابا.. أن برنابا صاحب الإنجيل يؤكد على بشرية عيسى المسيح، وينكر ألوهيته، وربما هذا هو السبب، في ابتعاد إنجيله عن الساحة العقائدية - المسيحية. لأن الفكرة المهيمنة على المسيحيين، هي ألوهية المسيح، وأنه ابن الله..

ورأيه في مسألة الصلب :

فإنه يرى أن الذي صلب هو شخص غير المسيح وهذا ما يتوافق مع القرآن ومن ثم يورد، قول عيسى على الشكل الآتي :

((إعلم يا برنابا أنه سيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقد، وإني على يقين من أن من يبيعني يُقتل باسمي، لأن الله سيغير منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد أنه إياي)).^(١)

وهذا تقريباً مشابه لقوله تعالى الذي جاء في القرآن ((وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)).^(٢)

ويستمر في وصف المشهد الأخير فيقول:

((لما دنا الجنود مع يهوذا سمع يسوع دنو، جمّ غير فاستيقظ وكان الحواريون الأحد عشر نياماً ثم رفع الله المسيح..

ودخل يهوذا إلى الغرفة التي صعد منها يسوع فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع.. ودخل الجنود، فأخذوا يهوذا وأوثقوه ظانين أنه يسوع)).^(٣)

هذه الحقائق، التي يوردها برنابا، منها ما هو جدير بالإعتبار الإسلامي لأنها تتكرر ألوهية المسيح، وصلبه وأُقتله ولربما سبباً مباشراً لعزل هذا الإنجيل واعتباره من الكتب المحظورة مطالعتها.. كيف لا وهي تضع المسيح - في وضع عادي..

نزع عنه لباس الربوبية والتقديس.. وكأنني بهم قد فقدوا أغلى مناصبهم في الشفاعة والغفران.. وكان الكهنة والرهبان هم أول الخاسرين من ذلك لأنه ينزع الغطاء الديني عن سلطتهم وصولجانهم فها هو التاريخ يقول: ((إن البابا جلاسيوس الأول قد أصدر أمراً عام ٤٩٢ بتحديد الكتب المحظورة مطالعتها فكان منها إنجيل برنابا..)).^(٤)

(١). انظر الإصحاح ١١٢: ٢٣-١٥

(٢). الإيه ١٥٧ النساء

(٣). انظر الإصحاحات ٢١٥-٢١٧

(٤). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٥٢

ولم تكن هذه الحادثة الأولى بشأن انجيل برنابا أو كتابه فهناك ذكر لبرنابا وخلافه مع بولس حين أرسل إلى أنطاكية، للتبشير بالديانة المسيحية..

فكان الخلاف بينهما قد وقع في تلك الرحلة، علماً أن بولس كان من ألد أعداء المسيحية. ويبدو، أن بولس هذا كان وراء أشياء كثيرة في العقيدة المسيحية.

وإلا لما كان هذا الإتفاق بين اقتراب انجيل برنابا من نظرة المسلمين والإسلام، للمسيحية واختلافه مع بولس هذا.. وكأني أريد أن أقول: أن تصورات برنابا ومقولاته في المسيحية لاتروق لبولس الذي كان يوماً ما عدواً للمسيحية.. وكأني به وراء كل تغيير دخل المسيحية..

الفصل الثالث

الانصرافات والصراعات الدينية - اسبابها

والحق، إن تصورات الصلب والألوهية، والتثليث - هي المسائل الطارئة على العقيدة المسيحية، وهي التي تمكّن الأشخاص من التناول على العقيدة ذاتها ومن ثم استغلال البشر.. فذلك يسهّل نقل الألوهية من المسيح إلى من يخلف المسيح، من بني البشر..

أولاً - مسألة الصلب: فكرة الصلب جاءت من:

((أن الله عادل ورحيم، ولكونه كذلك فلا بد أن يعاقب آدم عليه السلام ويعاقب ذرية آدم، على خطيئة أبيهم التي طرد بسببها من الجنة - وأما لأنه رحيم فإنه يغفر سيئات البشر.. ولكي يجمع بين عدله ورحمته، لا بد أن يكون المسيح، وسيطاً لذلك الأمر، فهو بمثابة ابن الله..

وكان الله في ابنه، وقد أرسله على شكل إنسان ليعيش مع البشر فيأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون.. ومن ثم يصلب لا لذنوب ارتكبه، ولكن ليكفر عن خطيئة أبيه وهو الإنسان.. وقد ورد في كتب العهد الجديد .

((وان ابن الإنسان جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبة ورحمته - قد صنع طريقاً للخلاص. لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى، وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل، أن الناس كانوا يستمرون في الإبتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم..

ولكن باقتران العدل والرحمة، وبتوسط الإبن الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قَرَّبَ الناس من الرب بعد الإبتعاد^(١).

من يصدق أن ذلك من أساسات المسيحية الأولى أو هي نصوص إلهيه وهي توحى: وكان الله ((دبر طريقه للفداء وهي الصلب لإبن الله نيابة عن البشر)).. ليس الأجدر بأن كل نفس بما كسبت رهينه!! وفي الواقع، بقيت مسألة الصلب موضع اختلاف كبير بين النصارى^(٢). حتى نزول القرآن، إذ حسم هذه القضية بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

ويذكر خواجه أفندي في كتابه ينباع المسيحية مايلي:

لم تكن المسيحية مصدر الصليب، ولم تبتدئ معرفة الصليب من تاريخ الصلب المسيحي. (وكلمنت) لم يشر إليه في قائمته الخاصة برموز وقوانين المسيحية^(٣).

ويقول أحد علماء النصرانية، وهو المسيو ادوارد سيوس، في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية قال: إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه، ويتابع هذا.. أن مقالته القرآن موجود عند طوائف نصرانية..^(٤)

ويذكر الطهطاوي في كتابه مجموعة من الطوائف.. نذكر ذلك منهم: السيرفنيون، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين، صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل

(١). انظر انجيل يوحنا ٣-١٦ ورسالة رومية ٢: ٢٣

(٢). انظر النصرانية من التوحيد الى التثليث ص ٣٠٢ محمد الحاج

(٣). انظر ينباع المسيحية خواجه أفندي ص ١٤١

(٤). انظر الميزان في مقارنة الأديان الطهطاوي ص ١٣٨

من كتب الحواريين.^(١)

وانجيل برنابا يُفصل كثيراً في هذا الأمر ويذكر أن الذي صلب، هو يهوذا الإسخريوطي، وهو ينكر فكرة الصلب للمسيح من أساسها، وها هو يشهد أحد العلماء الألمان بأن ذلك لم يحدث وإنما هو من مبدكرات ومخترعات بولس.^(٢)

وهي كما تظهر من نسج الخيال الإنساني، لكنها اعتقاد ذهني يحض اعتقاد ذهني آخر، وهو يعني ضعفه أمام عظمة الله.. فلا يعقل أن يكون ضعيفاً ثم يكون ابن الله أو هو الله فهذه تدحض تلك والعكس صحيح..

ثانياً - مسألة التثليث

أما عقيدة التثليث، فكانت من وحي بولس وأفكاره وهو الذي نقلها الى المسيحيه من اليهود الرومانية واليونانية والمصرية العريقة في مسألة التثليث والفداء..

يقول يوحنا في رسالته الأولى ٥،٧: ((إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والواحد في ثلاثة..

يقول الدكتور يوسف بوست عن عقيدة التثليث كما ورد في كتابه (قاموس الكتاب المقدس).^(٣)

((إن طبيعة الله في ثلاثة أقانيم.. فانه هو الأب وإليه ينتمي الخلق بواسطة الإبن.. الله هو الإبن، وإلى الإبن خولت مهمة الفداء.. الله هو الروح القدس، وبالروح القدس يصير التطهير.. والأقانيم الثلاثة - تتقاسم الأعمال الإلهية. ويقول

(١). انظر المصدر نفسه ص ١٣٩

(٢). المصدر نفسه ص ١٤٠

(٣). يمكن مراجعة المسيحية أحمد شلبي ص ١٣٩

محمد رشيد في تفسير المنار^(١):

إن تعاليم بولس هي أقرب إلى عقائد الرومانيين الوثنية، لذا كانوا هم الذين رجعوها ورفضوا ما عداها وكذلك كانوا أصحاب السلطه الأولى في النصرانية، أما قاموس الكتاب المقدس فيما يذكره عن التثليث فهو: ((اعترف كبار العلماء اللاهوت أنها كلمه لم ترد في الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها (نرتليان) في القرن الثاني للميلاد، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه أقر التثليث سنة ٣٢٥ م)).

هذا الكلام مذكور في قاموس الكتاب المقدس ينقله محمد رفعت الطهطاوي في كتابه الميزان في مقارنة الأديان ص ١٣٧.*

ويتابع القول: أن التثليث استقر بعد ذلك عند الكنيسة المسيحية على يد ((أوغسطينوس) في القرن الخامس الميلادي)*.^(٢)

وفي الواقع عقيدة الثالوث غير مفهومه لدى الكثيرين إلا أن الأستاذ محمد مرجان، كان نصرانياً فأسلم -جمع بعض تفسيرات دعاة التثليث فقال:

((يرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء. الذات والنطق والحياه.. فالله موجود بذاته.. ناطق بكلمته، حي بروحه، وكل خاصيه من هذه الخواص تعطيه وصفاً معيناً فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب ..

وإذا نطق فهو الإبن وإذا ظهر كحياه فهو الروح القدس.* من كتاب الله واحد أم ثالوث)*.^(٣)

(١). تفسير المنار/ جزء ١٠ / ص ٣٣٠ .

(٢). انظر/ الميزان للطهطاوي ص ١٣٧ .

(٣). انظر النصرانية من التوحيد الى التثليث ص ٢١٠/ محمد الحاج.

وهناك تخيلات وتفسيرات كثيرة لعقيدة الثالوث وكلها تقريباً تعتمد على ثلاثة أقانيم- وكلها بمثابة اشراك مع الله.. والله لا شريك له في الملك ولذا يقول القرآن في آياته: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ويمكن القول أن الإنسان لقصوره العقلي دائماً يلجأ إلى تصوير الأمور على صورته هو، حتى يفهم ما أشكل عليه لذا كان لابد من العودة إلى القرآن في هذه الأمور.. جاء في كتاب ينابيع المسيحية^(١):

(أنه لا يمكن أن نعزو وننسب الألوهية للمسيح للأسباب الآتية نذكرها بتصرف:

١- أن المسيح لم يدع الألوهية أبداً كما ورد في الكتب المقدسة - كما رأينا..
٢- يتضح من سيرته أنه كان رجلاً له جسم ونفس وعقل وهذه قطعاً لها متطلبات الأمر الذي ترنو إلى غيرها أي تحتاج غيرها بعكس الألوهية التي هي في غنى عن الغير ..

٣- لاتحتاج الهوية المسيح إلى ولاده عذريه وأن ولادته من غير أب لاتعني أنه يتصف بأية صفة من صفات الألوهية، هذه نقاط مأخوذة من عدة نقاط يوردها المؤلف على امتناع كينونة المسيح إلهاً.. وفي الصفحة ٨٠ يقول القس الموقر د. ١. ماجور رئيس معبد ريبون بلكسفورد: ((يجب أن نعلم علم اليقين أن عيسى لم يقل في الأنجيل إنه ابن الله بحاله طبيعیه أو بحاله نفسيه.. وإنما قال ذلك بحاله مجازيه، أي بحاله التي يكون بها أبناء البشر هم أبناء الله))..

إلا أن النصراني أو المسيحيين وهو ماغلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي مارسوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام:

(١) انظر ينابيع المسيحية خواجه أفندي ص ٧٩

((هو صورة الله في الأرض أي أن فيه طبيعته لاهوتيه وما دام هو كذلك فهو الله متجسداً))*(١).

وهناك فرقة تقول : ((المسيح هو الله، وهو ابن الله وهو روح القدس)) ويذكر محمد الحاج - رأيين ينتشران عند النصارى اليوم: (٢)

رأي تنزعه الكنيسة الغربية الكاثولوكية، ملخصه أن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون، تسمى بالأقانيم الثلاثة: (الأب والابن والروح القدس) ويكمل القول: أن المذهب البروتستنتي موافق تماماً لذلك* ورأي آخر: تنزعه الكنيسة الأرثوذكسية - يقر بهذه الأقانيم إلا أنه يقول: في اتحادها في طبيعة واحدة.. ولقد ظلم المسيح كثيراً فهو يقول: إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ماقال الناس عني من أنني أعظم من بشر لأنني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام* الإصحاح ١٤:٩-٢.

ثالثاً- الوهية المسيح

المسيح عليه السلام.. في نظر المسلمين، كما في نظر المسيحيين، جاء بمعجزات أهلته في نظر المسلمين ليكون رسولاً إلى بني اسرائيل.. أما في نظر المسيحيين فإن تلك المعجزات أهلته لأن يكون إلهاً لا بشراً رسولاً، يقول برنابا: إن ادعاء الوهية المسيح لم تكن حديثة العهد بل حتى في زمنه حدث مثل ذلك. وهذا القول يؤكد الآيات القرآنية التي تخاطب عيسى بالإحياء فيقول تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] .

(١). انظر الميزان للطهطاوي/ص ٢١٠

(٢). محمد الحاج/ النصارى/ص ٢٠٤

فيقول عيسى عليه السلام بالنص القرآني: ﴿سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [المائدة: ١١٦] *.

فيؤكد فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا﴾ [المائدة: ١١٧].

وبقى المسلمون يؤكدون على بشرية الرسول، كيف لا وهو مكتوب في كتابهم المقدس - القرآن - ولم يحرف هذا أو يغير رغم مرور السنين والأعوام، وتكالب الأمم على هذه الأمة، وتراثها الحضاري ..

أما بينهم، فلا انجيل المسيح -الأول- باق يرشدهم إلى الصواب.. ولا الأنجيل الموجودة هي متفقة على ذلك المبدأ.. وما بقي يؤكد على ألوهية المسيح.. كما رأينا..

ولنتابع الآن رأي برنابا في تفسير المسيحيين لألوهية المسيح.. حيث يورد قصه على إحياء المسيح للموتى، وممارسة بعض المعجزات الأمر الذي زرع في أذهان الناس والوثنيين منهم بذرة الألوهية.. ومن ثم ترعرعت ونمت في ظل الوثنية المادية - غياب الإنجيل الصحيح.. يقول برنابا:

((نزل يسوع في السنة الثانيه من وظيفته النبويه من اورشليم إلى تايين، فلما اقترب من باب المدينه - كان أهل المدينه يحملون إلى القبر ابناً وحيداً لأمه الأرمله، وكان كل أحد ينوح عليه..

فلما وصل يسوع، علم الناس أن الذي جاء إنما هو.. يسوع نبي الجليل.. فلذلك تقدموا وتضرعوا إليه لأجل الميت، طالبين أن يقيمه لأنه نبي.. فتقدم المسيح إلى أم الميت وقال لها بشفقه لاتبكي أيتها المراه ثم أخذ يد الميت، وقال: أقول أيها

الشباب باسم الله قم صحيحاً فانتعش الغلام، ولما كانت الوثنية مهيمنة في عهد الرومان وكان يُعبد الأشخاص، الذين يقدمون منافع للناس فإن المسيح لهذا الأمر السالف الذكر أُعتبر، أيضاً إلهاً..

ويقول برنابا في الإصحاح التالي*.

((وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئاً جديداً فيه نفع للشعب إلهاً وعبدوه، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في تايين، وبخوا واحداً منا بعد آخر قائلين: لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لا تكثرون له، حقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل مالنا، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أثار شغباً بين شعب تايين فقال قوم منهم: إن الذي زارنا إنما هو إلهنا، وقال آخرون - إن الله لا يرى فلم يره أحد ولا موسى فليس هو الله بل هو بالحري ابنه)).

وقال آخرون: إنه ليس الله، ولا ابن الله لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبي عظيم ورد هذا في الإصحاحين ٤٧، ٤٨.

ولكن عيسى نفسه ينكر ألوهيته - بعد أن رأى من قومه ماراً لما أظهر معجزاته لهم ..

من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونزول مائدة من السماء.. فيقول برنابا عن المسيح وهو ينكر ألوهيته.

((إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني براء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر..)) الإصحاح ٩٤: ١-٢ (*) وفي الإصحاح ٥٢: ١٠-١٤ يقول:*

الحق أقول لكم متكلماً من القلب أنني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً.. وهكذا هو يتألم من هذه الإقتراءات لأنها تحريف لحقيقته وحقيقة رسالته، وهذا لأمر

عظيم لأن الذي بعثه أرسله هدى وبشرى للعالمين من بني اسرائيل، ليس إلا.. ((وإن أقامني الله نبياً على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء واصلاح الخطاه، خادم الله وأنتم شهداء على هذا)). وبعد كيف يكون عيسى إلهاً وهناك أناجيل كهذا يصرخ بعدم ألوهية المسيح.. فالأمر - محض إفتراء وتكريس للوثنية السالفة. ويؤكد ذلك مرقس في إنجيله، بقول عيسى عليه السلام.. (الرب إلهاً إله واحد وليس آخر سواه) ١٢: ٣٠-٣١..

أثر بولس في المسيحية

يقول بعض المفكرين: إن دعوة عيسى عليه السلام قد انتهت بصلبه لأن أتباعه اختفوا وأنكروا علاقتهم بالمسيح، هكذا يقول (ولز): لدرجه أن بطرس لما اتهم بأنه أحد أتباعه أنكر المسيح وعلاقته به.. وبطرس هذا من الحواريين كما يُقال. وهو الذي قال قولته المشهورة: لا أعرف هذا الرجل (المسيح) كما يقول (ولز) وهو ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحية*(١).

كما أن عيسى نفسه لم يكتب انجيله الصحيح وإن الذي كتبه هم من جاءوا من بعده لذا تعددت صُور الأنجيل، وبذا لا يمكن أن تعطي الصورة الحقيقيه عن رسالته أومواعظه أو أقواله وأفعاله.. لابل دخلها تغيير كبير.. من مثل تأليه المسيح، والتأكيد على صلبه أو قتله، ومن ثم خروجه من القبر إلى تأليه الروح القدس.. الخ.

وكل ذلك لايمت لرسالة المسيح بصلبه -كما بيتنا- يضاف إلى ذلك أن رسالة المسيح كانت تنتمه لشرعة موسى، وتأكيداً على ما جاء فيها، كما أنها رساله لبني

اسرائيل وكفى.. فما الذي جعلها بعد ذلك تتجه هذه الإتجاهات المغايره لحقيقتها، من حيث صبغها بالصبغه العالميه.. وهو الذي قال:

(ما جئت الا لخراف اسرائيل الضالاه).. إن مثل ذلك والرد عليه لابد أن يضعنا على الصراط المستقيم .،

فنضع النقاط على الحروف فنعرف من أين جاءت تعاليم المسيح هذه التي جاء المبشرون - يبشرون بها العرب والمسلمين وكافة أنحاء المعموره.. ومنهم من يقول: (١)*

((أن المسيح لم يؤسس المسيحيه بل كان نواة لها هذا ما قاله wells)) إن يسوع الناصري هو نواة المسيحيه أكثر منه مؤسساً كما أن كلمة مسيحي لم تظهر إلا في القرن الثالث في المجلس الذي عقد بمدينة نيس *

إن ذلك يضعنا وجهاً لوجه، أمام شخصية فريدة في التاريخ اسمها بولس والأصل شاعول كان له اليد الطولى في إرساء أسس المسيحيه، كما يريد لها هو لا كما يريد لها المسيح الزاهد الروحاني من وحي السماء.. ولكن كيف ببولس هذا (شاعول) يضع أسس المسيحيه ويتسلم هذه المهمه، لا بل كيف استطاع أن يتقمص هذا الدور العقائدي الممزوج بالترياق السياسي. ولنبدأ أولاً بسيرته الأولى، وعلاقته بالمسيح والمسيحيه..

أولاً- بولس يهودي الأصل وكان من ألد أعداء المسيحيه كما تذكر المصادر المختلفه، كما أنه لم ير المسيح ولا كان من حواريه. يقول بولس في أعمال الرسل:

(١) انظر الهامش المسيحيه أحمد شلبي ص ٩٢-٩٤

((سمعتُم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها)) * غلاطيه ١: ١٣ - ١٤ .

أما لوقا، وهو مريده وحببيه فيقول عن بولس هذا، بأنه (مؤسس المسيحية)..
(وكان شاعول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة.. ويدخل البيوت ويجزّ رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكنيسة..

..وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موتقين إلى أورشليم)) أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨ - ٩، ٣: ١ - ٢ *.

لكن كيف استطاع أن يقنع الناس بما يقوله ويدّعيه، ولنسرد عنه قصه اختلقها قد تكون هي المجور الذي ارتكز عليه بولس لتدعيم مسيحيته أو أغراضه من المسيحية.. ادعى بولس: هذا الكلام على لسان لوقا حببيه وخليله ومريده قال: ((لما كان بولس قريباً من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء...،

فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهني، فقال من أنت ياسيد؟؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده.. فقال وهو مرتعد ومتحير.. يارب وماذا تريد مني أن أفعل، فقال له قم وكرّز بالمسيحية))^(١).

هذا عن تسلم بولس لرسالة المسيح وبإذن من نور السماء.. أما عن ادعائه بأن المسيح ابن الله فيقول لوقا بعبارة صريحة..

((وللوقت جعل يكرّز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله))

وهكذا استمد بولس مسئوليته من السماء بادعائه أنه تسلم رسالة المسيح والدعوه لها من المسيح نفسه.. فهذا ولاشك لايليق أن تؤخذ هذه العقيدة الدينيه هكذا وبهذه الطريقه إذ لم يتسلم الحقيقه من الوحي مباشره ومن يدري أن هذا القول هو الصحيح بعينه..

في مثل هذه الوظيفه الخطيره.. سيّما أنه أدخل عليها أموراً تجمع بين الدين والسياسه: (فأدخل على ديانتَه المسيحيه بعض تعاليم اليهود ليجذب عامة اليهود وأدخل صَوْرًا من فلسفه الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان)) وبذا أرسى بولس ديانتَه التي ابتدعها على اسس ثلاثه:^(١) أن المسيحيه دين عالمي ..

وتأليه المسيح.. أو هو ابن الله.. ومن ثم التثليث. وأن عيسى عليه السلام قام من بين الأموات ليجلس على يمين أبيه (الله).

والحق، إن بولس بإضافاته استرضى القوى المختلفه، وسيما منها السياسيه.. وبذلك لم يبق من كتب المسيحيه إلاكتاباتَه ورسائله، وكل مايمت لها بصله، من أمثال - كتابات لوقا وانجيله، ويوحنا وانجيله.. فهي قريبه في المبدأ والأصل والفرع أما القوى السياسيه، والإقطاعيه، فقد استرضاها هي الأخرى بقوله: مثلاً للعبيد..

((أيها العبيد أطيعوا سادتكم حب الجسد بخوف ورعده في بساطة قلوبكم كما للمسيح لابخدعة العين كمن يرضي الناس ..

بل كعبيد المسيح عالمين مشيئة الله من القلب خادمين بنيّة صالحه كما للرب ليس للناس)) إفسس ٦: ٥ - ٧*.

ويكتب إلى تلميذه تيطس (نكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ويطيعوا
تيطس ٣ - ١* ..)

وهكذا اختفت مبادئ الوحي الآتية عبر المسيح في الحق والحريه والخلص
من العبوديه والإقطاع لتتقلب إلى مثل تلك الأقوال.. حتى الكتب والأنجيل التي
تدعو للتوحيد أو الحريه أو كل مايمت لمواعظ المسيح وأقواله وأفعاله بصله..

كلها غابت عن الساحة حتى بعض الأنجيل التي نطقت بالحقيقه مثل إنجيل
برنابا، نبذ تماماً من التشريع المسيحي وتم - فقط الإعتماد على أناجيل متي ولوقا،
ومرقس، ويوحنا.. وكلها ربما أسماء لأصحابها وربما من وحيه والهامه -بولس-
يضاف إليها تشاريع المجامع والكنائس التي كرسست ألوهية المسيح والروح القدس
وفكرة الصليب..

*أسباب الصراعات الدينية

أولاً - التحولات المادية :

الملاحظ في الحقيقة المسيحية أنها مرت بمراحل وظروف أفقدتها أعظم الأهداف - وخاصة مايتعلق منها بأخبار الغيب وكذا الأهداف الروحية لدرجة القول:

أن عيسى عليه السلام كان جوهر رسالته التركيز على الأهداف الروحية حتى أنه توعد الغني بالويل والثبور من عظام الأمور وأنذره بأن لا أمل له بدخول الجنة أو دخول ملكوت الله كما لا أمل للجمل أن يدخل سم الخياط، فهذا ولاشك أمر مستحيل الحدوث.. والحقيقة، هذا أثر من آثار المسيحية، وهو محسوب عليهم.. وهو عكس مانراه من انتشار اللهو وحب الماده والترف.

والوثنيات المادية وهي التي استشرت في تلك المجتمعات بحجة النظام الرأسمالي الحر.. وهذا ولاشك يوجب الصراعات بين الدول والمجتمعات والأفراد.. وهذا موروث من الإقطاعيات القديمة.. فما أن انتصرت البابوية في أوروبا على الأباطرة واستقر لهم الحال حتى أخذت المجتمعات الإقتصادية والزراعية الشكل الإقطاعي. وها هو محمد كامل ليله يلاحظ ذلك في كتابه النظم السياسي فيقول:

((ويلاحظ أن الكنيسة ساهمت بوضوح في تطور النظام الإقطاعي))*(^١).

ويقصد هنا بالإقطاعي هو احتكار الإقطاعيات والأراضي وتركزها في يد السادة.. وهذا يترتب عليه نشوء طبقة العبيد أو الخدم.. هل كانت رسالة المسيح ترشد الناس وتوجههم لمثل تلك الأعمال؟ ومن ثم هل حقيقة هو جاء من أجل

(١) انظر النظم السياسي محمد كامل ليله ص ٤٠٢-٤٠٥

تقسيم المجتمعات إلى طبقات الساده والعبيد ..؟؟ قيل أن الكنيسة أضحت جزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعي * (١)

ما بال أولئك لا يدركون من الحقيقة إلا نصفها.. قالوا بتقديس المسيح، وهو ابن الله، أو هو الرب..

كيف يكون ذلك؟؟ وهم لا يدركون حقيقة ما يفعلون، مع ما يؤمنون به فالمسيح قال بالحرية والزهدي والتواضع.. أيعقل أنه كان يقصد حريه الأغنياء والإقطاعيين فقط..؟؟ ويتابع محمد كامل ليله في كتابه النظم السياسيه فيقول: (وكان أصحاب الإقطاعيات مسيحيون فقط، ومقصوره عليهم دون غيرهم من الأديان الأخرى) * (٢)

احتكار مابعد احتكار !! أين المساواه والعدل التي ما انفك المسيح عن التبشير بها .. وهي المواعظ التي مابرحت مذكوره في الأناجيل.. وهذا ولاشك، تحول خطير عن مواعظ المسيح ورسالته السمحاء وانتقال خطير نحو الوثنيه الماديه - التي تستتبع نهماً وشراً لاحود له في السعي وراء الماده ومشتقاتها، مهما كانت الوسائل وهو أمر خطير على الأفراد والمجتمعات المسيحيه وغير المسيحيه .. وهو الذي قاست منه شعوب العالم الأخرى.. والمسيح من ذلك براء..

ثانياً- تأليه المسيح والإنسان

وأما التحول الآخر الذي كان له الأثر الكبير في إنكفاء الصراعات الدينيه هو فكرة تأليه المسيح وهذا ولاشك أمر جد خطير لأن الرب في نظرهم تقمص في شخص المسيح الإنسان..

(١) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٥

(٢) انظر / النظم السياسيه / محمد كامل ليله / ٤٠٥

وهذا أضفى نزوعاً مادياً وسلطوياً في الحياة الدينية والأخلاقية للإنسان ..

وهو في نفس الوقت ينقل القدره الإلهيه والسلطه الدينيه إلى الإنسان وذلك بالخلافه والإستخلاف أو بالحلول..، فيصير الله في السماء والمسيح ابنه في الأرض وكأنه ممثل للرب.. وهذه السهوله في توزيع القدرات ومنحها لأشخاص هم من خلق الله (لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً) لهو بمثابة اتجاه خطير ومن خطورته:

أن الذي يمثل السلطه الدينيه هو بمثابة خليفة المسيح فيكون القائم على الكنيسة هو خليفة المسيح الوحيد في الأرض، وهذا الأمر يمنحه سلطات لا حدود لها في حياة الناس، لذا نشأت بدع كثيره.. منها عصمة البابا:

وهذه كانت أخطر الأمور في المسيحيه - فكان تأثيرها أولاً داخلياً على سلطة الدوله أو سلطة الأباطره مما سحب البساط من تحت أقدام الأباطره ومن ثم أصبحت السلطه الدينيه والدينيه بيد أشخاص أو بابوات يضعون التشريعات كلها.. مما أحدث صراعات داخلية وهذا كله في غياب نص ديني واحد يضاف إلى ذلك بدلت تشريعات أخرى تتسحب على الأمم الأخرى كانت بداية لإشعال الحروب الصليبيه، على العرب والمسلمين .

وهذا ولاشك نتيجة النزوع إلى الماديه وحب السيطرة على العالم برمته وهو ما لم يأت به المسيح من عند الله.. والذي كان من دعاة السلام وحب الآخرين .

ثالثاً-التحول عن دعوة المسيح في السلام

جاء في معظم الأنجيل أن المسيح وهو يعظ قومه يقول لهم: ((أحبوا أعداءكم أو مبغضيك)) إلى بقية المواعظ عن الأصدقاء أو الأعداء وكأن سبيله لنشر دعوته بين قومه هو السلام والوعظ والإرشاد، ودائماً يؤكد على أن رسالته محليه فقط هي لبني اسرائيل.. والذي حصل أن الذين تسلموا دفة الأمور الدينيه

والماديه من بعده هم ينزعون نزعات ماديه تشوبها الأنانيه والقسوه والنار والتسلط.. وهذا ولا ريب انقلاب على مبادئ المسيح..

ففرى التجاءهم إلى تصفية الحسابات، بينهم وبين اعدائهم بالعنف والذبح والقتل إن داخلياً أوخارجياً، دون أن يبسطوا أيديهم لأئلك الاعداء بالتبشير والوعظ السلمى الذي كان سبيل المسيح الوحيد.. ولاغرابه فقد حدث الكثير من ذلك في داخل الدين المسيحى، من حيث الإضطهاد للمخالفين والمفكرين..

الذين قالوا بوجهات نظر مختلفة، ومنه ماحدث في حالة الصراع البابوي الإمبراطوري، بين البابا والإمبراطور فهناك أمثله على ذلك كثيره ..

فقد تحدى البابا جريجوري - الإمبراطور هنري الرابع في مسألة تعيين رجال الدين، ولما عارض الإمبراطور رأي البابا- نقل الأمر اليه، استخدم البابا السلاح الرهيب في وجه الإمبراطور سنة ١٠٧٦ بحرمانه من رحمة الكنيسة وعزله من منصبه ولذا دارت رحى الحرب بين البابا والإمبراطور الذي انتصر فيها البابا ومثل ذلك حدث بين فردريك الاول والبابا اسكندر الثالث*.. وغيرهم كثير.^(١)

رابعا-تحويل المسيحيه الى رساله عالميه

والأمر الأخطر من ذلك هو تحويلها إلى رساله عالميه، وهذا الأمر يترتب عليه أشياء خطيره من اعتقاد المسيحيين أنهم موكولون لهذا الأمر وهذه الوظيفه إلى قيام الساعه..

وعلى أسس ومبادئ لم يثبت أنها آتية من السماء على الوجه القطعي وهذا ولاشك تدمير للناموس الإلهي، لأن المسيح ما جاء الاحلقه واحده من حلقات الرساله السماويه.. والمسيح أشار بذلك أنه سيأتي من بعده رسول اسمه أحمد يكمل

(١) انظر النظم السياسيه محمد كامل ليلة ص ٤٠٣

هذه الحلقات ومن ثم تصبح رسالةً واحدة إلى كل الأمم من خلال خاتم الرسل، وختام الوحي السماوي..

والسبب يأتي من أن القرآن أشار إلى ذلك بوضوح تام.. وهناك مقارنات يمكن أن يلحظها كل إنسان يتوق إلى معرفة الحقيقة.. فبينما الأنجيل متعددة الإتجاهات والكتب والمبادئ ناهيك عن الإضافات في الشعائر والإعتقادات التي تختلف من طائفه لأخرى، ومن شخص لأخر وقد أوردنا الكثير من ذلك، نرى في الإتجاه الآخر :

أن القرآن ثابت لم ينله تحريف أو تبديل رغم الأعاصير والأهواء التي حاولت فعل ذلك.. والسبب قاله خالق الإنسان والكون في قوله الأبدى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

والسبب أنه رساله عالميه بعكس الأنجيل المتعدده والمختلفه.. وهذا أمر أدركه كثير من المفكرين الغربيين الأحرار.. وعليه إن فكرة عالميه الرساله المسيحيه قد أخرجتها عن الأهداف المرسومه لها.. من أنها فقط لبني اسرائيل ولمرحله من مراحل البشريه انتهت بمجيء القرآن الذي ما جاء ليهدم الناموس ولكن ليتمم الناموس ..

فمصدر الرسالات واحداً وكلها جاءت من عند الله ولايمكن أن تصطدم وبعضها البعض ..

ولقد احتواها القرآن تلميحاً وتصريحاً ..

الفصل الرابع الحروب الصليبية والاستشراق

بعد التحولات الخطيرة في رسالة المسيح حدثت أحداث داخلية -كما رأينا- وأحداثاً خارجية وخاصة ضد المسلمين أتباع رسالة القرآن رغم أن رسالة المسيح الحقيقية لا تتعارض مع رسالة الإسلام -كما رأينا- فالإثنان ينهلان من سراج واحد، ومصدر واحد..

ولوبقيت رسالة المسيح كما هي في عهد عيسى نقيه طاهره كصاحبها لآمن كل من آمن برسالة المسيح .

ولكن الذين كفروا برسالة محمد ﷺ، لا يقدرون الأديان حق قدرها.. لا بل هم وقعوا في صدام مع أهل دينهم أولاً.. ومن قبل أحدثوا عليها تغييرات جوهرية كانت سبباً مباشراً لهذا الصراع.. وخاصة أنهم قالوا بعصمة البابا تماماً كما هي ألوهية المسيح وأنه ابن الله والمسيح من ذلك براء..

بعد ذلك تم احتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل البابا بالشكل الذي يراه مناسباً ومن ثم تطورت عقيدة الصليب وامتزجت بعد ذلك مع عالمية الرسالة المسيحية فاستعدوا بعد ذلك لكل الإحتمالات في سبيلها، بما في ذلك الصلب والقتل كيف لا وفي عرفهم، صُلب المسيح من قبل..

هكذا صورت لهم خيالاتهم الأمر، فحملوها الصليبان - ويمموا شطر دولة الإسلام.. باللعجب ماهي دوافع ذلك؟؟.

وهل كانت بشرى المسيح ومواعظه هي ظهور دين جديد لا بد من التصدي له، والحوول دون إنتشاره؟؟.

أما أنا فأقول: لا يمكن أن يفقدوا حملاتهم الصليبية وفي قلوبهم ذرة من الإيمان برسالة المسيح الصحيحة لأن الذي جاءوا به مناف لحقائق ومواعظ المسيح.. وأولى تلك المواعظ، كما يقولون أو هي بقية مما جاء به المسيح هو: (أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم).

وهذا ولاريب قمة التسامح وهو لا يمكن أن يكون نبراساً ومنهاجاً لدعاة الصليب والصليبية، وحتى لو كان الإسلام والمسلمون أعداءهم فكان غير مطلوب مقاتله المسلمين أو ذبحهم ابتغاء شتى الوسائل من أجل تحقيق هذا الهدف على الأقل وفق الموعظه السالفة الذكر.. والذي يجب أن نعرفه أن الذين قادوا الحروب الصليبية على المسلمين، لم تكن لديهم المبادئ الأساسية لرسالة المسيح.. ولكن كانت لديهم مبادئ متناثرة أخرجت أشخاصاً حاربوا الدين أكثر من أن يناصروه ونصرة الدين لاتأتي بالعنف والقتل بل تأتي بالمعروف والإحسان والموعظه الحسنه..

ولاتأتي بصكوك الغفران والشرائع التي تكرر الهيمنة ومبادئ الصلب والتثليث وألوهية المسيح وتفسير الكتاب المقدس بالطريق الخاصة ولأشخاص معينين لهذا الغرض ومن ثم احتكار هذه الوظيفة وتسخيرها في تحقيق الأغراض الخاصة.. والذي كانت نتائجه الصراع المتواصل بين الأمم والشعوب وحتى الأفراد أنفسهم، كل ذلك أفرز حركات دينية لمحاولة الإصلاح..

فظهرت الحركة البروتستنتية المناهضة للمذهب الكاثوليكي ولو أن سلطات الكنيسة الدينية أمسكت برسالة المسيح الحقيقية لوقفت هي دون غيرها أمام السلاطين والأباطرة الذين قادوا الحروب الصليبية ضد الحقيقة الإسلامية ..

ولكن للأسف تحالفت ثلاث قوى ضد هذه الحقيقة.. وكلها أضمرت العداء للإسلام والمسلمين ونكلت بهم شر تنكيل فقط لأنهم يقولون: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))..

وكانت هذه القوى متمثلة في الأباطرة أو أصحاب السلطة السياسية الذين خضعوا لسلطان الكنيسة، التي صوّرت لهم الأمور أن الصراع مع الحقيقة الإسلامية - حتمي وضروري .

إلا أن التحالف بين القوى كان مصلحياً مادياً المسيح منه براء، وأول المنفعين من هذا الصراع كانت قوى الثروة والمال التي تبحث عن المزيد من الثروات والأموال لدى الآخرين وكذا كانت تبحث عن أسواق لتجاريتها ومصانعها في بلاد العرب والمسلمين أو غيرهم من الشعوب..

لذا كان شكل الصراع الإسلامي المسيحي في البدايه هو الصراع العسكري المادي أو هو المواجهه المباشره .

فكانت القوى الزاحفه نحو المنطقه العربيه الإسلاميه قوى غاشمه تريد السيطرة والهيمنه على المنطقه وعلى هذه الأمه لابل على الحقيقة الإسلاميه فإذا هي فشلت..

فالأمر لا يعدو كونه مرحله لا بد أن تأت بعدها مراحل حتى تتحقق الأهداف، لأن الحقد المتأجج في القلوب هو صراع بين الحق والباطل..

لابين الإسلام والمسيحيه فالحقيقه المشتركه بينهما لا تزول ولن تزول لأنها هي فقط الحقيقة الكبرى وهي معرفة الله معرفه حقيقه..

إنما الحق، والحق يقال ماكان لأولئك القادمين أن يفعلوا هذا الا بعد مرحله طويله على طريق تزييف الحقيقه تلك وتحريف مبادئ المسيح ومواعظه- الأمر الذي أشعل الفتيل الأول..

في دنيا المسلمين، ولم نبتعد كثيراً وقد أشعلوا مثله في دنيا المسيحيه - يوم أن أحرقوا دعاة الإصلاح الديني أو الناطقين بالحقيقه، حقيقه الله الواحد الأحد. كيف لا ومن قبل فعلوا ذلك مع صاحب الرساله نفسه حين تأمروا عليه لقتله أوصلبه .. إن الذين زرعوا الصليب على صدورهم وقادوا الحملات الصليبيه، حمله تلو الحمله، لم يخدموا رساله المسيح في شيء ولكنهم عبّروا عن حقدهم الدفين تجاه دعاة السلام والإسلام..والمسيح منهم براء..

كيف لا وهم، أرسوا أفكاراً ما أنزل الله بها من سلطان، كلها أفكاراً ماديه مغرقه بالأنانيه والوثنيه لا تخدم الا قوى الماده والسلطان كما نرى ذلك في ادارتهم الصليبيه:

٥ إدارة الصراع الصليبي

كان لهذا الصراع أسباباً أجمع عليها الكتاب في الآتي:

أولاً- العودة إلى الاراضي والبقاع التي حكمتها الأمم المسيحيه قبل ظهور الإسلام وهذا أمر أوسبب غير ديني، كما أرى لأنه بمثابة استعاده لأمجاد غابره - لاتمت للأهداف الدينيه بصله..

فلو كان القائمون عليها ممن آمنوا برسالة الأديان الواحده لما صعب عليهم الأمر حين حكمها المسلمون بشرع الله، فلو آمنوا لوقفوا بجانب القاده المسلمين في تسيير دفة الأمور في تلك الأصقاع كما حصل مع الكثير منهم حين دخلوا في دين

الله أفواجاً. ولاختصروا على أنفسهم مهمة الحروب تلك التي أسموها صليبيه وباسم الصليب، وهذا أيضاً المسيح منه براء..

ثانياً - تحرير بيت المقدس من المسلمين أو بالأحرى كان الهدف هو ضريح المسيح ولنسمع مقاله ول ديورانت، في كتابه قصة الحضاره عن خطبه لإربان الفرنسي الذي كان المحرض الحقيقي للحروب الصليبيه يقول: ((..فليثر همتمكم ضريح المسيح المقدس ربنا، ومنقذنا الضريح الذي تحتله الآن أمم نجسه..)) *.

وهكذا نرى التضليل واضحاً في هذا الصراع وهو نتيجة طبيعیه لتحريف الحقيقه- فالمسيح كما نعلم لايملك ضريحاً في القدس ولاهو الرب كما يقولون ولا الذين امتلكوه هم أمم نجسه كل ذلك تضليل وتحريف للحقائق..

وهذا الأمر يضع النقاط على الحروف في الصراع الإسلامي المسيحي لا بل هو الذى أشاع مثل هذه الصراعات، وهي ولاشك نتاج الأفكار الوثنيه الماديه التي غرست مثل ذلك التضليل.. وهو ما نراه أكثر فأكثر في نفس الخطاب: ويقول أربان الفرنسي:

((ذلك بأن الأرض التي تسكنوها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال - ضيقه لاتتسع لسكانها الكثيرين،- تكاد تعجز عن أن توجد بما يكفيهم من الطعام ..))

وهو يعكس الصراع الداخلي بين الطبقات والأشراف والأقنان - العبيد، علماً أن البابوات كانوا على رأس الإقطاعيين، ويستمر في الخطاب فيقول: ((إن أورشليم أرض لانظير لها في ثمارها، هي فردوس المباحج..))

وهكذا تتضح الأهداف الماديه في إنكاء الصراع الصليبي. بين المسلمين والمسيحيين ..

ثالثاً - ومن الأسباب الأخرى أن المدن الإيطالية، بيزه وجنوه والبندقية وأملغي كانت راعبه في التوسع التجاري إلى آفاق أخرى وبلاد أوسع وهذه ولاشك تخلوا الأخرى من أية أهداف دينيه ولايمكن أن تحسب من عناصر الصراع الديني بين الإسلام والمسيحيه.. بل هي عناصر ماديه وكفى.. ولتحقيق أهداف الحروب الصليبيه ولبث العزيمه في الشعوب المسيحيه أشاعوا على للملأ أن الأمم الإسلاميه، تضطهد المسيحيين.. واخذ الحجاج يتحدثون عن الظلم والتحقير الذي يلاقونه من المسلمين ..

وهذا الأمر لا يحسب على العناصر الدينيه أوهو مبدأ اسلامي تجاه الآخرين تعالوا نسمع معامله الفاطميين قبل ذلك للمسيحيين، وكذلك معامله صلاح الدين مع المجتمعات الأخرى.. يقول ول ديورانت في قصة الحضاره الآتي:

((كان الفاطميون حكام مصر قد حكموا فلسطين حكماً سحماً رحيماً استمعتت فيه الطوائف المسيحيه بحرية واسعه في ممارسة الشعائر الدينيه)) *.

أما في ظلال الحروب الصليبيه التي خاضها صلاح الدين فكانت معاملته مع أعدائه، لا نظير لها كما يقول ول ديورانت:

أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وأبأوهن فقد وزع عليهن من ماله الخاص ما أطلق السنتهن بحمد الله والثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معامله رحيمه ونبيهه))..

كل ذلك يبين ولا ريب أن الإسلام والمسلمين الحقيقيين لا يمكن أن يضطهدوا الغير فما كان الإسلام إلا رحمة للعالمين ..

وكتب التاريخ حافله بممارسات الصليبيين في الديار الإسلاميه حيث عاثوا فيها فساداً وقتلوا وذبحوا كل من وجده أمامهم حين احتلوا المدن الإسلاميه وخاصه مدينة القدس..

وفي هذا يقول القس ريمند الإيجيلي شاهد العيان - (وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين ، وقتل غيرهم رمياً بالسهم أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج ، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا في النار ..

وكننت ترمى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام ، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل وحتى النساء والأطفال طعنوا أو قتلوا بالحرايب والسيوف ..

هل ياترى هذا ماجاء من أجله المسيح.. وقد قال من قبل أحيوا أعداءكم ..

أما المغريات الأخرى والوعود التي كانت الباعث على الحروب الصليبية، كما صورها وخطط لها الأباطرة والبابوات ورؤساء الإقطاع .. وهي القوى الثلاث التي تضافرت قواها لسحق الإسلام والمسلمين، بين نزعة دينية خالية من الحقائق ونزعة مادية..

بغرض الحصول على ثروات البلاد التي يصلون إليها، ونزعة ثالثة سلطوية بغرض مد رقعة الهيمنة والسيطره على الأمم والشعوب..

نعم كانت المغريات تخدم تلك القوى ومن هذه المغريات: أن كل من يخسر صريعاً في الحرب قد وعد بأن تغفر له جميع الذنوب وهذه لا يملكها لا البابا ولا الإمبراطور ولا غيرهم، فلا يغفر الذنوب الا الله ..

أما الإغراءات المادية: فهي اعفاء سكان المدن من الضرائب واجلت ديون المدنيين على أن يؤدوا فائده نظير هذا التأجيل واطلق البابا سراح المسجونين، وخفف أحكام الإعدام مقابل الخدمة في فلسطين)) وعليه انضوى لهذه الحروب الظالمة العناصر الشعبية الآتية :

الذين يرغبون في تخليص أرض المسيح، التي ولد ومات فيها..

ومنهم من سئم الفقر الذي كان يعانيه.. ومنهم الذين يذهبون رغبة في المغامرة ومنهم الذين يرغبون في تكوين اقطاعات.. ومنهم الذين يبحثون عن أسواق أخرى للتجارة..

وهكذا نرى أن العنصر الديني في هذه الحروب هو فقط ضريح المسيح والأرض التي يوجد فيها هذا الضريح ..

وهذه لا تمت للمبادئ والقيم الدينية بصله لابل هي من قبيل التعصب الديني.. فكيف إذا عرفوا الحقيقة بأن المسيح لم يقتل وليس له ضريح.. ساعتها ماذا يبقى من أهدافهم غير تلك الأهداف المادية البحتة !!!؟

الإستشراق وأهدافه

كانت المرحلة الصليبية الأخرى في الصراع ضد الحقيقة الإسلامية تتجه شكلاً وأسلوباً جديداً، هذه المرة.. وكان مخططاً لها لتدارك الفشل وأسبابه الذي منيت به القيادات الصليبية الأولى عبر القرون الثلاثة المتوالية ..

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر- وهي فترات الهجوم الصليبي الشرس، والذي قاده جهاذة المكر والإستغلال، من الفئات السياسية والدينية والذين أنكروا مبادئ المسيح في التعامل مع الأصدقاء أو الأعداء، جملةً وتفصيلاً، أمثال أربان الفرنسي الذي حرض على الحروب الصليبية، الأولى والتي فشلت في تحقيق أهدافها الرئيسة.. مما دعا إلى تغيير الأسلوب المادي المباشر في الصراع أما الآن فأصبح الأسلوب علمياً مدروساً..

نعم تغلب عليه الإعداد والدراسة والتخطيط والتهيئة ليسهل بعد ذلك الإجهاد على هذه الأمه.. فكانت البدايه بوسيلة الإستشراق - الذي قاده فئه من المستشرقين أو هم بمثابة الخبراء والمخططين للسياسات الصليبية.. فكانت مهامهم الأوليه هي:

- ١- دراسة العدو دراسه مستفيضه ومن جميع الجوانب لمعرفة عناصر القوه والضعف في المجتمع- العدو.
- ٢- وضع الخطط والوسائل للإجهاز على هذه الأمه، الوسائل الماديه منها وغير الماديه.
- ٣- التعرف على الطوائف والأحزاب والفرق في المجتمعات الإسلاميه لإذكاء روح الفتنة بينها لتشتيت الأمه الإسلاميه ..
- ٤- تحريف القيم في التراث الإسلامي لسلب الإنسان المسلم منه شخصيته الحقيقيه.

انشاء الجمعيات التبشيرية

- ١- جمعيه لتشجيع الدراسات الشرقيه بلندن وأصدرت مجلة الجمعيه الأسويه، الملكيه .
 - ٢- الجمعيه الشرقيه الأمريكيه سنة ١٨٤٢ .
 - ٣- جمعيه للمستشرقين الفرنسيين .
- ثم انشاء مجلات خاصه بالمستشرقين ومن بين المجلات التي صدرت لتحقيق هذه الأغراض ما يلي:-

مجلة جمعية الدراسات الشرقيه في مدينه جامبير بولاية أهايو .
مجلة الشرق الأوسط.. ومجلة العالم الإسلامي- التي أنشأها صمويل زويمر سنة ١٩١١ .

واصدار دائرة المعارف الإسلاميه بعدة لغات، وذلك ليسهل عليهم تحريف وتبديل محتويات هذه المعارف وما تحويه من تراث وقيم اسلاميه.. وهناك غير الوسائل المذكوره توجد الوسائل الأخرى المتمثله بالمؤتمرات الدوليه.. من أجل

وضع الدراسات والخطط لتحقيق الأهداف المرسومة ومن بين المؤتمرات التي عقدت لهذا الشأن.. (١)

مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ ومؤتمر في بيروت عام ١٩١١ ومؤتمرات في القدس عام ١٩٢٤ وآخر ١٩٣٥.

وفي أمستردام بهولندا عام ١٩٤٨ ومؤتمر إيفانستون بأمريكا ١٩٥٤ وفي نيودلهي ١٩٦١ في الهند ومؤتمر في أوفتالا عام ١٩٦٨ بأوروبا، وغيرها كثير، أما هذه فهي على سبيل الأمثلة.. والحق، هناك وسائل أخرى كثيرة غير مذكورها، ومنها وسيلة التبشير..

التبشير

أما المرحلة المتقدمة في عملية الإستشراق هذه؛ فهي المتابعة والتتفيذ لكل الدراسات والخطط التي وضعها المستشرقون وهذه تسمى المرحلة التبشيرية .. وهي قائمه على معطيات وضعها الأوائل من الخبراء الذين أسميناهم المستشرقين وهذه المرحلة التنفيذيه ؛تأتي هي الأخرى بأشكال وأساليب شعبيه ومنها الوسائل الآتية:

المدارس: لتعليم الاطفال اللغات الاجنبيه وصرف الأموال الباهظه عليهم من أجل الأخذ بعقولهم وتحويلهم عن القيم الإسلامية، والتربيه الإسلاميه و غرس النزعه الاجنبيه في أذهانهم عن طريق تمجيد الحضاره الغربيه والتقدم الذي أحرزه الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا.

المستشفيات: وذلك بالمعالجه المجانيه في أغلب الأحيان وذلك لتحويل الناس عن أهدافهم الأساسيه، واعطائهم الإنطباع أن المسيحيه وحدها تقوم بمثل هذه الأعمال المجانيه وذلك خدمه للإنسانيه، وهي تخفي في زواياها أهدافاً تبشيرييه بين الحين والآخر وذلك عند عقد الندوات والمؤتمرات في المدارس والمستشفيات وكذا الجامعات.

الجامعات: وهذا أيضاً اسلوب له فضل كبير بالترويج للحضاره الأوروبيه والقيم الغربيه لنزع الشباب من تأييدها لأمتهأ إلى تأييد الأمم الغربيه المتقدمه وزرع أفكاراً استعماريه في أذهانهم والإيحاء لهم بفضل الحضاره الأوربييه على المجتمعات الإسلاميه ويظهرون أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين..

وكل ذلك كان له أثر كبير في تدعيم سلطة الإستعمار، وظهور الحركات الدينيه المؤيده للإستعمار ..

..ولحضارة الغرب الإستعماري، ومن أمثال الذين روجوا للإستعمار في البلاد الإسلاميه من المسلمين، كان على رأسهم كما يقول الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي وصلته بالإستعمار الغربي.. هو الزعيم الهندي المسلم سيد أحمد خان*^(١)..

الذي أغرته الحضاره الأوربيه، وافتتن بالعلم الطبيعي تحت وطأة الحركات التنشيرييه والإستشراقيه المتواصله - الذي كان له المردود المعاكس في الإتجاه القيمي والروحي التي هي أسمى الأهداف الدينيه،.

وهناك شخص آخر ادعي بأنه المهدي المنتظر وهو ميرزا غلام أحمد ويدعي أن فيه حل عيسى ومحمد عليهما السلام*^(٢).

والملاحظ أن نتائج التبشير والإستشراق كانت لصالح الفكر الإستعماري المادي، ولم يطرأ ولو تقدم بسيط في المجال الروحي الذي دعا اليه المسيح، من محبة الاصدقاء والأعداء على حد سواء ..

هذا على افتراض أن الأمه الإسلاميه عدوه تقليديه للمسيحيين كما تصوّر ذلك الحركات الإستعماريه بمساعدة المبشرين والمستشرقين، إن هذا لم يكن يوماً ما هدفاً من أهداف المسيح الذي جاء بشرى للأُمم برسالة رسول من بعده اسمه أحمد.. ومثل ذلك حدث في البلاد العربيه الإسلاميه ..

والحق، نحن لم نكن في موقف نحسد عليه لأن الأمور تغيرت رأساً على عقب بعد استلام الإستعمار دفة القيادة والمسؤوليه في بلادنا والتي أطال عمرها بالنار والحديد وبتغيير كل المؤسسات الإجتماعيه والثقافيه والإقتصاديه في

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي ص ٢٠

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٣٦

المجتمعات العربية والإسلامية، وكل هذه المحاولات والأجهزة التبشيرية والإستشراقية تجتمع على أهداف واحدة ذكرنا بعضاً منها ونذكر شيئاً منها الآن..

أن القرآن من صنع محمد وتأليفه، وأنه مشتق من المسيحية أو اليهودية.^(١)

وأن الإسلام (دين ماله وتترف ولهو) أما المسيحية فهي دين الحرية والعلم والسلام.* وأن الإسلام يفرق ولا يجمع فهناك عدة إسلامات، إسلام للشيعه وآخر للسنة وآخر لمذهب المالكية وأخيراً مذهب الحنابلة.*^(٢)

وطبعاً الهدف من كل ذلك، تفريغ الإسلام من مضمونه العقائدي والقيمي الذي كان سلاح المسلم وعدته، في مقارعة الأعداء.. فما انتصر الرسول يوماً بالقوة المادية.. وهو لا يملك منها إلا القليل.. القليل. ولكن انتصر بالقوة الروحية وبالعقيدة والقيم والأخلاق وبالموعظة الحسنة ..

كل ذلك كان عُد الرسول وعُدته وأما ما يروج له المبشرون فهو محض افتراء ولا يمت للحقيقة بصله.. وقد نكون قد افترينا على المبشرين أو المستشرقين، ولكن الحقائق التي أماننا واعترافاتهم تُفصح عما في صدورهم من كيد وحقد على هذه الأمة.. ولكن في زحمة ذلك التضييل، لانتسى فضل أولئك المستشرقين الذين يبحثون عن الحقيقة ليس إلا فهؤلاء أسلم منهم الكثير..

حين بانئت لهم الحقيقة الساطعة، أما الآن نطالع بعضاً من افتراءات المستشرقين، والمبشرين من الإسلام.

(١). انظر المصدر السابق ص ٦٦

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٧٠

موقف بعض المستشرقين من الإسلام

لكي تتجح المجهودات المتكامله من قبل الهيئات الصليبيه المتمثله بمختلف الإتجاهات والقوى والتي قامت بها من حيث الدراسه والتخطيط والإعداد.. نعم، لكي تتحقق الاهداف بكاملها كان لابدمن التهيئه النفسيه لهذا المشروع الضخم والعمل على الحط من القيمه الروحيه للإسلام لأن روح الإسلام هي القوه الحقيقيه التي اعتمد عليها رسول الإسلام في تحقيق الحقيقه الإسلاميه في المجتمعات والأمصار حتى وصلت حدود أوروبا غرباً وحدود الصين شرقاً..

نعم، كان الهدف هو تمزيق هذه القيمه عن طريق تمزيق وحدة المسلمين فكانت المحاولات متواصله من أجل هذا الهدف من شتى المستشرقين.. فهذا المستشرق الفرنسي كيمون*^(١):

رأى أن ينهش من جانب الجسد الإسلامي برمته فقال:

وهو يصورّ للناس معنى الإسلام وبأنه مرض خطير جاء لعلاجه، هو فيقول أيضاً: ((إن الديانه المحمديه جذام تقشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام. إلى آخر المقال المملوءه بالسموم والحقد على هذه الأمة لابل على الحقيقه الإسلاميه برمتها..

أما الذين طعنوا في الجماعات الإسلاميه وصفاتهم وأخلاقهم فكان على رأسهم جيسب الامريكي الذي يقول:

(١). انظر / المصدر السابق ص ٦٧

* يقول جيسب الأمريكي :-

((المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدّرونها حق قدرها إنهم لصوص وقتله ومتأخرون وإن التبشير سيعمل على تمدينهم))*(١).

ترى أين وجد هذا المبشر هذا النفر القليل من المسلمين الذين عناهم هذا المستشرق في مقالته تلك، لاشك أنهم من طينته وممن تستهويهم الحانات والمواخير ودكاكين القمار..

وهم ولاشك على شاكلته، لابل هم الذين روجوا له ولسياسته مقابل حفنه من المال، نحن لانقول لايوجد مثل هذا النفر والا لما وجد الإستعمار أصلاً..

وهؤلاء الأشكال من المبشرين والمستشرقين الذين اعتمدوا لا بل جل اعتمادهم على مثل هؤلاء الأندال.. أما المؤمن الحق فلا يتخذ من الكافرين أولياء، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فالمؤمن الحقيقي، يقدّر الأديان حق قدرها ويفهمها فهماً جيداً وأنها تمثل سلسلة واحدة وهدفها واحداً وأنها من مصدر واحد..

نعم المؤمن الحق يفهم الدين المسيحي الحقيقي بنفس القدر الذي يفهم فيه الإسلام ولا يحط من قدره، ويرى أن الذي في المسيحية موجود مثله في القرآن، وما دام القرآن خاتم الرسالات..

وهو أشملها وأكملها فمن باب أولى أن ينضوي تحت لواء القرآن وسمائه..

والحق، إن الهدف هو تمزيق الأمة التي تجتمع على كلمة واحدة وهذا واحد آخر، يفصح عن جلية الأمر بصراحة أكثر وهو يقول: ((إذا اتحد المسلمون في امبراطوريه عريبه أمكن أن يصبحوا لعنه على العالم، وخطراً...)) * (١)

وبذا هم يحرضون الأمم الأخرى ليس على المسلمين، بل يخصون العرب منهم، وكان هذا يرى بضرب الأمة العريبه قمة الإنتصار على الإسلام ..

ويغمز من طرف خفي للأمم والشعوب بأن تتحالف من أجل تحقيق هذا الهدف والاملا تضافرت جهود التتار وهم من الشرق مع البابويه وهم من الغرب لسحق الإسلام ودولة الإسلام عام ١٢٥٤م.

وفصح القس: (كالهون سيمون) عن رغبة التبشير القويه في تفريق المسلمين بقوله:

(إن الوحدة الإسلاميه تجمع أمانى الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطره الأوروبيه ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات (أو التوجهات) ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوروبيين في ثوب جديد جذاب، وعلى سلب الحركه الإسلاميه من عنصر القوه المتمركز فيها * (٢)

ولكن نحن نقول، لم تكن يوماً ما وحدة العرب أو المسلمين في دولة واحدة لتشكل أي خطر على أية دولة في العالم، لا بل العكس هو الذي حصل..

والحمد لله فالتجربة الإسلاميه وقعت وحصلت والنتائج تشهد عليها آثارها في الأندلس والهند والصين، أي من أقصى الغرب الى أقصى الشرق..

(١). الفكر الإسلامي الحديث/محمد البهي/ص ٥٢٥/عن الإسلام والإرساليات /لورنس براون/ص ٤٤-٤٨

(٢). المصدر نفسه/ص ٥٢٦/ عن (كتاب التبشير والإستعمار) ص ٣٢

وفوق كل ذلك، كانت نتائج الوحدة الإسلامية هو حرية الشعوب وازدهارها علمياً وثقافياً ومن ثم نشر العدل في ربوع العالم الذي وصلته الحقيقة الإسلامية..

أما الذين تعرضوا للقرآن وقللوا من أهميته أو قالوا هو من صنع محمد، كان على رأسهم.. نيكلسون في كتابه الصوفية في الإسلام: ص ٧-٨

((والقارئون للقرآن من الأوروبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه محمد وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات))^(١)*

أما المستشرق المشهور الإنجليزي (جب) يقول في نفس السياق: *

((أن القرآن ليس من عند الله بل هو من صنع محمد وتأليفه وها هو يقول:

((إن محمداً ككل شخصيه مبدعه قد تأثر بضرورات الظروف الخارجيه عنه المحيطه به من جهه ثم هو من جهه أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائده في زمانه))^(٢)*

ويقول رينان* عن عقيدة التوحيد في الإسلام (بأنها تضع المسلم في حيره وتحط به الى أسفل الدرك))^(٣)*

ومن بين التضييل الذي يلجأ إليه المبشرون تفسير مجلة العالم الإسلامي (إلى الله المصير) فيقول إن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشريه بينما إله المسيحيه عطوف متواضع يتوادل للناس..^(٤)*

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث ص ٢١٣ محمد البهي

(٢). انظر المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣). المصدر السابق ص ٥٣

(٤). انظر المصدر السابق ص ٥٦

هل ياترى كل ذلك من أفكار ومبادئ هي ماجاء به المبشرون والمستشرقون لبثها في عقول المسلمين، وهم كانت أهدافهم الأساسية.. أولاً الحط من الدين الإسلامي الذي صهر العالم في بوتقة واحدة، ولم يفرق فيها بين أسود وأبيض وعربي وأعجمي..

وتقبلته البشريه في كل الاصقاع وها هي آثاره مازالت بين المسلمين في الصين وروسيا والهند وكذا في أمريكا وأوروبا..

أم جاؤا للتشهير بالقرآن والرسالة الإسلامية، وهي التي مانجحوا في تحريفها يوماً ما رغم كل المحاولات، وبعد مرور هذه السنون.. وهوما لبث ناصعاً، لايناله تحريف أو تبديل ..

والحق، إن حقدهم على القرآن قاله ((وليم جيرفورد)) حيث يقول: ((متى توارى القرآن ومكه من بلاد العرب حينئذ نرى العربي يندرج في سبيل الحضاره الغربيه)).*

أما القسيس زويمر، فيقول للمبشرين لا تقطعوا من نتيجة التبشير إن كانت ضعيفه).*. وهكذا هم جادون في محاربة الحقيقه الإسلاميه..

الإستعمار الصليبي

كان الإستعمار قمة الأهداف التبشيرية لابل على رأسها وما قامت فكرة الإستشراق حادى ذي بدء- وبعدها التبشير إلا من أجل التمهيد لهذا العمل وكأنه قمة الإنتصار لديهم، كيف لا وهو هدف مشترك لمراكز القوى الثلاث الممثلة في السلطه الدينيه أولاً والسياسيه، ثانياً وسلطة رأس المال.. وهذا هو الثالث الفرعوني القديم يتجدد دائماً.. فإذا تحققت أهداف الإستعمار الصليبي تكون قد تحققت أهداف القوى الثلاثه السالفة الذكر..

فمن ناحيه، وبعد ظهور ظاهرة الإستعمار التي روج لها المستشرقون وهياؤا لها كل الأجواء، وبشر بظهورها المبشرون.. تدعمت أكثر فأكثر الظاهره الإستشراقية نفسها، وأرسلت جماهير غفيرة من المبشرين الى المجتمعات الإسلامية والدول الأخرى، في آسيا وأفريقيا بقصد استمرار السيطره والهيمنه على الشعوب خاصه الإسلاميه منها. والناحية الأخرى، هي تحسين وجه الإستعمار من قبل المبشرين والمستشرقين، حتى صوروا هذه الظاهره ..

أنها لرفع مستوى حياة الدول والأفراد التي جاءها الإستعمار لابل هي الوصي الرشيد على هذه الدول المتخلفة - في عرفهم..

فكانت النتائج سلبية لابل أدت الى تفاقم الأوضاع في المجتمعات الإسلاميه والعربيه والمجتمعات الناميه، والفقيره عامه.. فكان الإستعمار كابوس رهيب جثم على صدر هذه المجتمعات لم تتخلص منه الا بعد تضحيات جمه..

فبدل أن يجلبوا العدل والمساواه والمحبه والعلم والتقدم الذي وعدوا به، بدل ذلك كرسوا الظلم والمحاباه والتسلط والجهل بين الناس.. أما المجالات التي خطط لها الإستعمار وحقق بها أهداف المستشرقين والمبشرين والمستعمرين فهي:

أولاً- المجال السياسي: فقد انتزع القرار من اصحاب الشأن وفرضت قوى الإستعمار هيمنتها على الشعوب الإسلاميه فكانت فرصتها للإذلال، وتنقيس الأحقاد الصليبيه التي لبثت في الصدور قرون عديده.. فأذلت الأفراد كما اذلت الدول والشعوب الإسلاميه ونشرت في ربوع الأمه الرعب والظلم والخوف والتسلط..

فاصبح الحكم لأفراد معينين من قبل المركزيه الإستعماريه، مع مشاركة أزامهم المختارين من قوى الظلم، والاستغلال من عبدة المال والشهوات.. فأكثرؤا في الارض الفساد وطغوا في البلاد، وأزاحوا الحقيقه الإسلاميه من طريقهم سواء في الحكم أو غيره..

فكانت المصالح، كل المصالح بأيدي المستعمرين وتلامذتهم الذين تلقفوا الفكر الإستشراقي القائم على الوثنية المادية، والطغيان الكهنوتي الذي لفظته أوروبا ساعة تسلطه ووضعته في حجم لا يكاد فيه يبين.. فكان الفشل الذي حصدته سلطة الكنيسة في الإمبراطوريات الغربية ساعة انفصالها عن الدولة.. كل ذلك أرادت أن تعيد لها بعض المجد في الجيوب والمستعمرات الغربية وهي حامله معها أتعس التوجهات،..

للتبشير بها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية فالذي لاتصله الأفكار الصليبية المحرفة تصله السلطة الدينية المتعجرفة المنقولة من التوجهات الغربية والتسلط الكنسي الآفل..

وكان له أثر كبير في المجتمعات الإسلامية، حين تفرقت شيعاً وأحزاباً فدخلها الطغيان الديني الذي ما أنزل الله به من سلطان... من مثل تأليه الإنسان أو المسئول السياسي والديني والذي زرع الرعب بين النفوس لكل من يخالفها..

وفي المجال الثقافي

كان الحصاد من جنس البذور المغروسة إذ بعد مجهودات لاحدود لها، من المبشرين والمستعمرين والمستشرقين في هذا المجال استطاعوا أن ينفذوا الى البنين الثقافي العربي والإسلامي وذلك ..

أولاً- عن طريق اللغة، لأنها سلك الكهرباء الموصول بلغة القرآن وهو الهدف الرئيس الذي يسعون الى تقطيع أوصاله، وحدث مثل ذلك في الجزائر لفرنسة الأمه عامة والأفراد خاصة، ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً.. حتى أصبحت أجيال وأجيال لا تتنطق إلا بالفرنسية، لولا لطف الله وتحررها من هذا الكابوس اللعين ومثل ذلك حدث في تونس ولبنان وسوريا.. الخ

أما في دول الإستعمار الإنجليزي - مثل مصر والسودان والأردن وفلسطين والعراق.. الخ

فقد تركزت الجهود على اللغة الإنجليزية والفرنسية أحياناً، وكل ذلك في سبيل تحقيق أهداف المبشرين والمستشرقين الذين عرفنا شيئاً من أهدافهم نطقوا بها على رؤوس الأشهاد..

من دعوتهم إلى تفكيك الأمم وإيعادها عن مراكز قوتها، ومبادئ دينها ليسهل بالتالي وضعها في المنزقات الغربية التائه.. لتعبد الشيطان والوثنية، ولتنسى الحقيقه الإسلاميه والفكر الروحي الإسلامي الذي يخدم الدنيا والدين سواء بسواء. وعلى ذلك ومن أجل ذلك أقامت المعاهد اللغويه والتبشيري..

لتبشر الناس بالمبادئ الغربيه التي انسلخت عن الدين والتي منها المسيح براء..

ولكي تبقى الصوره معتمه، أيضاً حُرقت الكتب التي نالتهما القوى الإستعماريه والتبشيرييه إلا أنها وإن استطاعت الوصول إلى التراث الإسلامي.. والشروحات الإسلاميه وبعض الأحاديث النبويه، إلا أنها لم ولن تصل قط للكتاب الإسلامي المقدس - القرآن الكريم..

فهذا محفوظ في الكتب أولاً وفي الصدور ثانياً، وهو جاهز دائماً للإنبعاث والتطبيق، ساعة الناس تشاء.. صحيح أن خسارتنا كبيره في المجال الثقافي ولكن عزلونا دائماً في بقاء القرآن ناصع البياض لايمسه إلا المطهرون، لنفيق به ومن أجله ساعة تحين الفرص..

ثانياً- أما المجال الآخر الذي تناوشته أيدي الغرباء، الصليبيين فكانت القيم والاخلاق الإسلاميه فكان لابد من الإجهاز عليها، وفعلاً انتشرت الماديه وحب الشهوات والرذيله وشرب الخمر..

في ثايات المجتمعات الإسلاميه، فكانت خساره عظيمه والمصاب جلل ولازلنا نقطف نتائج هذا الإنحراف الأخلاقي ..

وبذا هيكل المجتمع الإسلامي تغيّر بالكامل على أيدي الغرباء المبشرين فلم يأتوا بما وعدونا به من البشائر والحب والأخلاق العظيمة التي جاء بها المسيح ..

والذي كان قمتة في التسامح والعفو والصفح ونحن لم نلق منهم الا التدمير الشامل لكل شيء في الحياة جميل..، فنحن صَدَرنا القيم والأخلاق وحسن المعاملة وهم صدروا لنا الموبقات وحب الم لذات والشهوات.. وذلك لتكريس الوثنية التي حاربها المسيح، وما زالت آثارهم تشهد على ما فعلت أيديهم بالأمم والشعوب..

ونحن أيضاً مازلنا نعاني من رواسب استعمارهم وحقدهم الأسود على الحقيقة الإسلامية، وهنا نؤكد ونقول أن المسيح من ذلك براء، ..ورسله وأعوانه وأتباعه الحقيقيين يسخطون من هذا الفعل الصليبي الأحمق الذي أنكرته قوى الحق في بلادهم من قبل، ومن بعد..

أما في المجال الإقتصادي

فكان المصاب كبيراً، لأن كل الثروات المنخره قد وضع الإستعمار يده عليها ونهبها نهباً لم تفيق على أثره الأمة، فعانت الفقر والمسغبة والجوع، وكرست الرأسمالية المقيته، ونقلت الطغيان الإقطاعي الرأسمالي من أوروبا إلى المجتمعات الإسلامية فزاد الفقير فقراً والغني غنى..

حتى الحكومات العربية والإسلامية كانت رغم ثرواتها تعاني الضعف في البنية الإقتصادية ..

وحرمت عليهم التصنيع لأنه لا يخدم الهدف الروحي للرسالات السماوية وهو أساس الطغيان، هكذا صورّ المستشرقون والمبشرون الأمور في مجتمعاتنا فحللوا لهم التصنيع والتقدم والبناء والعمران وحرموه علينا وعلى الأمم النامية..

بسبب أن ذلك معاكس لمطالب السماء وكانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه ..

الحق صراعنا لم يكن يوماً صراع عقائد، إنه صراع مع الطغيان الوثني المادي الذي كان نتاج مبادئ محرفة لم تنطق بها شريعته السماء ولا شريعة في الأرض، وهكذا كانت تجربتنا مع قادة الحملات الصليبية مريرة ومع دعاة الشرك والألوهية والوثنية..

أكثر من مريرة، فكانت هذه حالنا ضعف في البنيان السياسي والتشريع الحكومي وضعف في البنيان الثقافي وكذا في البنيان الإقتصادي.. وكل التشريعات الخاصة بذلك تغذي البنيان المادي الإستهلاكي ويكرس الآمال المؤقتة على الطموحات المستقبلية ..

الفصل الخامس

أسس الحوار الإسلامي المسيحي

وقبل أن نبدأ بالحوار الإسلامي المسيحي لابد أن نتساءل، هل الحوار سيكون مع أبناء المسيحية ذاتها التي جاء بها المسيح أو مع المسيحيين الذين جاءت بهم الوثنية المادية حتى أن البعض ضمن هذا السياق خلط خطأ كبيراً..

فأعلن أن المسيحيين كانوا موجودين قبل مجيء المسيح نفسه، ولا أدري هل كان ذلك من ممارساتهم التي تشبه إلى حد كبير الذين سبقوهم من الأمم الأولى والتي خضعت للنظام الوثني كما هو وارد في إشارة ول ديورانت في قصة الحضارة:

(إن المسيحية لم تقضي على الوثنية بل تبنتها)*^(١).

ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وفي مثل هذا القول تأكيد واضح على النكوص التاريخي نحو الوثنية، وهذا أمر شديد خطوره ولا يقبل به أصحاب الأديان الحقيقيين الذين صار عوا الوثنية منذ البدء.

وعليه لابد أن تكون هذه الإشارات إلى الوثنية المادية التي تغلغت في الكتاب المقدس-المسيحي، وفعلاً هي إشاره جديره بالإهتمام لأنها أبعدت المسيحية والمسيحيين.. عن التوجه الأساسي لرسالة المسيح التي كان عمودها الفقري التوحيد ونكران الذات والزهد في الحياة الدنيا.. فهؤلاء هم الذين نقصدهم بالحوار وعلى أسس علميه دينيه عقليه مستنده إلى أساسات ..

(١). انظر قصة الحضارة ول ديورانت ص ٢٧٥

لا تقبل الشك أو الجدل البيزنطي.. وعليه لابد أن نطرح أدوات الحوار ومعاييرها إن كنا نريد نتيجة حاسمة في هذا الصدد. والأدوات هي:

الكتب المقدسة لمعرفة الغيب وما وراء الطبيعة وهذا أساسي لابد منه حتى يكون الحوار جدير بالإعتبار من أجل الوصول للحقيقة الكبرى - وهي الأهم في فرز الأعمال والأخلاق والقيم.. الخ والكتب المقدسة هي التوراه والإنجيل والقرآن، ومن ثم دراستها لمعرفة أحقيتها كمستند صدق للحوار يمكن الركون إليه..

ساعتها نرى ولاريب أحقية القرآن في هذا المجال لأكثر من سبب ربما ذكرنا الكثير منها ضمن هذه الدراسة، وأهمها أنه لا تبديل فيه ولا تغيير وهو كتاب واحد، بعكس الكتب الأخرى، وهو لا يهضم حق أحد سواءً إن كان مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك فهو يدعو إلى الإيمان بكل الكتب وبكل الأنبياء.

أما الكتب الأخرى فهي ضعيفة لاتصلح لأن تكون مستنداً حاسماً في هذا الصدد لأنها متعددة ..

وقد عرفنا رأي بعض المفكرين الغربيين حول النسخة الأصلية للإنجيل فهي مفقودة وغير موجودة، وأن ما يحويه الكتاب المقدس الإنجيل ليس إلا قصص تاريخ المسيح وبعضاً من مواعظه ممزوجة بتوجهات إنسانيه أدبيه عامه..

الأمر الذي يعترف به الجميع وأن المسيحية توجه فردي تلمس أخلاق الفرد وليس من ضروره أن يعكس ذلك على التوجه الإجتماعي، وتوج ذلك بعدم الإنسجام مع الدوله وتم الانفصال فيما بين الدين والدوله إلى الابد..

وقد حصلت بدايات إصلاحيه قاده مفكرون اصلاحيون من العالم المسيحي، وهي كانت بمثابة اعتراضاً على التوجهات المسيحية الرسميه التي كانت نتاج الأساس النظري العقيدي الذي أسس بنيانه بولس الرسول..

ولم تظهر الثورة الإصلاحية على حقيقتها إلا بعد أن ترسخ البنيان المسيحي النظري العقيدي على أسس بولسية بحثه لاندرى علاقتها الحقيقية بالنص الإلهي - أي الوحي الذي جاء به إنجيل المسيح الحقيقي، وإلا لما بدا التناقض بين السلطة الدينية والتجمعات الشعبية بالإزدياد وعلى رأس ذلك المثقفين أو المفكرين منهم..

والحق، هم كانوا على حق في فعلهم ذلك لأن الأمور انقلبت رأساً على عقب فبدل أن يتحرر الإنسان..

وضعت عليه قيوداً في الفكر والإعتقاد.. وتحول إلى إنسان مادي وغابت الروحانيه الحقيقية في توجهات المسيح لابل ضاعت الحقيقة الكبرى في زحمة الماديات.. أين معرفة الله الواحد الأحد في هذا الزخم الحياتي المملوء بالشهوه واللهو والترف..

فالتحولات الخطيره التي حدثت في بنيان المسيحيه نراها قد أحدثت ردود فعل قويه في أوساط المثقفين، وسيما المفكرين منهم، ولما وصل التناقض بين الفئات الدينية والثقافيه ذروته بافتعال بدع وشعائر ما أنزل الله بها من سلطان جأر هؤلاء المثقفون بأصواتهم..

التي كانت مبحوحه وصامته وهم يرون الإنحرافات تجري على مسمع ومرأى الجميع

أما حين وصلت الأمور إلى البدع العمليه، كانت الثورة والدعوه للإصلاح، وسيما بعد الحروب الصليبيه واحتكاك الغرب بالشرق الإسلامي، والإضطلاع على بعض المبادئ الإسلاميه

ولكن تأثير حركة الإصلاح الديني في المسيحيه لم يكن أمراً كبيراً في البدايه، وذلك لأنها لم تتطرق إلى أسس العقيد..

التي حُرِّت من قبل، مثل الصلب والتثليث والألوهية.. وكل ما هنالك أن حركة الإصلاح الديني قد طالت البدع والأباطيل من مثل..

حق الغفران، والصكوك وعصمة البابا، واحتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل الكنيسة فقط..

والسبب أن هذه البدع وضعت المسيحية على المحك والتطبيق، وأما البنیان فهو خاوي من أساسه، لأن الأساس والعقيدة أيضاً خاويين..

والتطبيق جاء ترجمه عمليه للنظرية والمبدأ والاساس الضعيف لابد أن تكون نتائج ضعيفه، تتخللها الإنحرافات والأباطيل، والسبب أن الفرصه والمبادره نُقلت الى الإنسان جملةً وتفصيلاً.

ولكن الرسائل والرسل ما جاءوا إلا لهداية الإنسان، وكل ذلك ما كان ليكون لولا ضعف الإنسان ونقصانه وخضوعه لآفة الخطأ والنسيان وهذا يناقض عصمة الإنسان أيًا كان، إلا الأنبياء.

حركة الإصلاح الديني

والحق لم تمر الحركة الإصلاحية بسلام لأن الكنيسة كانت قد رسخت أقدامها فكرياً وتطبيقاً وتغلغلت في الطبقات المختلفة وأمسكت بزمام الأمور الدينية والدنيوية..

وفعلاً كان أشهر قادة الإصلاح في القرن الخامس عشر، كما يقول الدكتور أحمد شلبي هو: جيرم وهوس*^(١) هؤلاء أعدما حرقاً بالنار..

(١). انظر المسيحية/ أحمد شلبي / ٢٥٨

أما مصلحي القرن السادس عشر، وفي إنجلترا مثلاً كان توماس مور الذي نادى بالإصلاح السلمي، وأما أشهرهم على الإطلاق فكان مارتن لوثر من ألمانيا، الذي هاله ما رأى من مساوئ الكنيسة وبدعها وممارساتها، من حق الغفران والحرمان، حتى ولو كان المحروم ورعاً تقياً فقط هو وقف ضد البابا أو الكنيسة، عليه لابد أن يستحق الحرمان..

والعكس صحيح في حالة الغفران، فمهما مارس الشخص من الموبقات والفواحش وطلب العفو والغفران ..

على طبق من الرضوخ والعبودية لتعاليم الكنيسة فلا بد أن تمنح له الصكوك مقابل هذا الرضوخ..

وقد حوكم مارتن لوثر في محاكم التفتيش لاحتجازه على هذه الصكوك وأصدرت هذه حكماً بحرمانه منها وأباحته دمه.. ولكن الحركة لم تنته بل تزايد نفوذها..

وأنشأت فيما بعد كنائس خاصة باسمها كحل وسط، أو نتيجة نهائية لحركة الإصلاح ولكنها لم تصل إلى الأهداف المرجوة.. وهي تقويض أركان الكنيسة السالفة الذكر.

وأهم ركن فيها هو الركن العقيدي المتمثل بالإشراك أو مبدأ الوهية المسيح ذاته أو هو شريك مع الله في الملك والقدرة..

وهذه القضية التوحيدية هي التي أحدثت انعطافاً خطيراً في المسيحية وأجبت مشاعر المتقنين أو المتدينين الأحرار الذين جأروا بأصواتهم ضد هذا التوجه الإلحادي وعلى رأس أولئك أريوس الإسكندري..

والحق هذه قضية مشهورة وجدها في الكتب العربية ممن كتبوها عرب وأكتب أجنيبه كتبوها أجانبا غربيين، وكان ذكرهم لها من باب التذكير ببعض الصراعات والثورات داخل المسيحية أو ضمن الأعمال الإلحاديه - برأيهم.. ولنسمع أولاً مقالة و.ل. ديورانت حول هذه القصة ولانريد سردها من البدايه ولكن مجمل القول هو:

((أن أريوس هذا قال، إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئاً واحداً، بل كان هو الكلمه أول الكائنات التي خلقها الله وأسماها ..

واحتج الأسقف الكسندر على هذا القول ولكن أريوس أصر عليه وقال إنه إذا كان الإبن من نسل الأب فلا بد أن تكون ولادته قد حدثت في زمن آخر وعلى هذا لايمكن أن يكون الإبن متفقاً مع الأب في الزمن ، ويضاف إلى هذا أنه-إذا كان المسيح قد خلق فلا بد أن يكون خلقه من لا شيء أي من غير مادة الاب..الخ* (١)

والحق، كان ذلك ثوره عارمه على ألوهية المسيح، وهو الأساس العقيدي الأول في البنيان المسيحي الذي أرسى دعائمه بولس، أما ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحية: فتقريباً هو نفس الشيء، من إنكار أريوس ألوهية المسيح جملةً وتفصيلاً وذلك بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ حين احتدم الصراع حول ألوهية المسيح وكان عدد المجتمعين كما يقول أحمد شلبي ٢٠٤٨، وفي هذا الإجتماع صاح العالم المصري أريوس صيحته التي كان يرددتها دائماً...

((إن الأب وحده الله والإبن مخلوق مصنوع وقد كان الأب ولم يكن الإبن، وتضاربت آراء المجتمعين واختلفوا ولم يستطيعوا أن يصلوا الى قرار ويعلق في نفس الكتاب عبد الأحد داود على ذلك ضمن الهامش فيقول:*(٢)

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص١٤٧

(٢). انظر المسيحية الهامش - أحمد شلبي ص١٤٣

لماذا لم ينزل الروح القدس على المجتمعين فيهمهم سواء السبيل؟ ((لأن كاتب رسالة أعمال الرسل زعم أن الروح القدس ينزل كلما حزب أمر)). ولا اعتقد أن هناك أمراً خطيراً أخطر من هذا الأمر .

وخلاصة القول: عوقب أريوس بالقتل مع بعض مؤيديه واجتمع الأعضاء القائلون بالإلهية للمسيح، وبالتثليث وهم ٣١٨ عضواً وأصدروا قرارهم المشهور، وهذا نص القرار:

نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما لا يرى وما يرى، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد..

وهكذا، وجد من بين المسيحيين أنفسهم من يؤمن بالتوحيد الإلهي وهي الحقيقة الإسلامية الساطعة في دنيا الإسلام ومن ثم هي التي فجرت أسس الحوار الإسلامي المسيحي، فكان هذا هو أساس الحوار وهو التوحيد بكلمة سواء.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلْ أَلِكُتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهكذا وضع القرآن مفتاح الحوار بين الأديان والشرائع السماوية كلها على كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)..

وهذه أوجدت أفقاً رحباً لأمثال أريوس وغير أريوس للدخول في دين الله الإسلام.. وقبل أن نبدأ الحوار على أساس كلمة سواء وهي كلمة (الله) الواحد لا بد أن نضيف كلمة حق بعد نضالات أريوس هذا الإسكندري، والتي راح ضحيتها ومن قبله مارتن لوثر الذين جأروا بكلمة حق واعتبروا المسيحية بالشكل الذي أفرز البابويه وعصمة البابا وصكوك الغفران واحتكار التفسير للكتاب المقدس إن هي إلا

انقلاب خطير في المسيحية الحقيقية التي نادى بها المسيح -كما هي واضحة في القرآن الكريم..

نعم نقول ذلك ونثمن مجهوداتهم ونذكرها لتكون خطوه على الدرب في الفكر الحر كما فعل ذلك مارتن لوثر - الذي وصف تعاليم الكنيسة بتعاليم الشيطان لفرط ما رأى منها من بدع وسيطرة وتسلط كان له أثر كبير على المجتمع الأوروبي برمته فأعلن الحرب على الكنيسة وتعاليمها وكان قمة ذلك في فصل الدين عن الدولة..

والحق كانت الحروب الصليبية والهجمات المتتالية على المسلمين هي بفعل البابويه الذين ظلموا في بلادهم ومن ثم في بلاد غيرهم ..

وأوكام : هو الآخر انتقد السلطة الزمنية التي يمارسها البابا لأبل كافحها، وهو وإن انتقد الدين، وأعاب عليه إلا أنه كان يقصد ما لحق بالرسالة المسيحية من انحرافات وخاصة في السلطة السياسية العليا، وعصمة البابا في القول والعمل ..

وهو الذي قال أفكاراً ناضجة عن (الله) وكلمة التوحيد، ومفاد عباراته أن الله لاتدركه الأبصار فهو لاشخص، ولاجنس ولانوع، فلا يشاهد ولا يحس، وإن مجال الله هو الإيمان والإعتقاد وليس الجدل العقيم ..

وأما أنا فإني أضع أمامهم الحقيقة الكبرى التي تمثل الكلمة المشتركة بيننا وبينهم ولافضل لي فيها إلا الترتيب والجمع وكل الفضل للمولى عز وجل-في القرآن الكريم ..

العودة إلى الحقيقة الكبرى

مقدمه

بتأثير عوامل مختلفه بدأت العقيدة التوحيديه تأخذ طريقها لدى الافراد والجماعات، وبهذا تعود الى الأصل وتترك عن كاهلها الوثنيه وكل القيود الإنسانيه التي كبلت الفكر الإنساني بأساطير وأفكار لاتمت للتوحيد بصله وها هو:

مجدي مرجان، وقد كان شماساً نصرانياً في عصرنا الحاضر يقول:*(إن شعوب النصرانيه التي فرض عليها التثليث بدأت تعود الى التوحيد الإلهي بصراحه ووضوح دون خوف أو وجل ..*)^(١) ويكتب الدكتور مورييس بوكاي: كتاباً يقارن فيه بين الأديان والكتب المقدسه.. ويخلص الى نتيجته واحده وكتاب واحد وإله واحد لاشريك له*.

وفي هذا إيذان صارخ بمواجهة الوثنيه والشرك والعودة إلى التوحيد دون تردد أوخوف من مواجهة أحد كما حصل مع أريوس المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندريه فحين أعلن أن الله واحد ولم يلد ولم يولد تكاثر عليه الأعداء وأنهم بالكفر والهرطقه ثم قُتل..

وهذا الأسقف نستورا ينكر ألوهية المسيح، وفي بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشرية المسيح مقررأ أن الإله لا يحل في البشر .. ويتابع الطهطاوي* ذكر بعض الموحدين فيذكر مجموعه نقلها من المهندس أحمد عبد الوهاب فيقول: لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد في بلاد المجر بين النصارى، وفي هولندا

(١). الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ١٠٩

يعلن المفكر الهولندي (توماس اكبس في كتابه على خطى المسيح) فيقول هناك تناقض بين القول أن المسيح إلهاً أو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي * (١).

الحقيقة المشتركة في الإسلام والمسيحية

إذا كان جوهر الرسالة المسيحية عظيم الصلة بالرسالة الإسلامية قلباً وقالباً، فأين إذن مكنم العداء وسبب الداء في الصراع الإسلامي المسيحي؟ .

وإذا كان جوهر الإسلام لا يختلف شيئاً عن جوهر رسالة المسيح، لا في المبادئ ولا في الكليات فمثلاً في التوحيد الإلهي المطلق هذا اعترف به المسيح نفسه -بالنص القرآني.. وفي العبادات وفي المعاملات.. نعم في كل ذلك.

فأين الحلقة المفرغة التي يصطدم بها التشريع المسيحي مع التشريع الإسلامي.. مع العلم أن رسالة المسيح وما تتطويع من مبادئ توراتيه وانجيليه تشكل النصوص الرئيسية في القرآن، من خلال سرد قصص الأولين، وأخبارهم والتكاليف التي وجهت إليهم، فهناك سورة خاصة بآل عمران وهم الأساس في حياة مريم، وسورة خاصة بمريم وابنها المسيح عليه السلام ..

يضاف إلى ذلك قصص موسى عليه السلام مع قومه وهي التي تشكل جوهر الرسالة التوراتية.. فنصوص الإنجيل الصحيح والتوراه الصحيحة لاتؤخذ من كتب غير واضحة ولاتقدر حق الأنبياء قدرهم الذي يستحقونه..

وإنما تؤخذ من المعجزة الأبدية في التشريع والحكم وكذا في سيرة الأنبياء الحقيقية. ولقد آن الأوان للتنبية على هذا الأمر، فكل التكاليف والمطالب التي وجهت لأولين هي منصوص عليها في القرآن، وبشكل يحفظ حقوق الإنسان الأبدية..

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص ٨١

فمثلاً حكم القصاص جاء أول ما جاء إلا في التوراه إلا أن القرآن أكد عليه وأقره بالنص الآتي:

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

هذه الآية جاءت في التوراه التي قال القرآن عنها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وكان المفترض أن يكون أول المؤمنين برسالة محمد عليه السلام، هم أهل الإنجيل وقد بشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وهو مكتوب عندهم في كتبهم، وها هو بالنص القرآني:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّسِينٌ﴾ [الصف: ٦].

فالأساس في الرساله الانجيليه والتوراتيه هو التصديق برسالة محمد القرآنيه ولا فارق بينهما إلا أن القرآن كان تنمة الرسائل وكان المفترض أن ينضوي الجميع تحت لوائه ومظاهر التصديق برسالة القرآن ومجيء محمد (أحمد) مكتوب في التوراه والإنجيل الصحيحين..

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

حتى المبادئ التي وردت في تلك الكتب هي نفسها كما رأينا المبادئ الحقيقية في الإسلام والمسيحية.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان الجزاء الذي ينتظرهم لو آمنوا برسالة محمد المصدقه برسالة المسيح، جزاء عظيمًا في الدنيا والآخرة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَادَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥]. وها هو يفصل سمة الإيمان المطلوب منهم:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]. فكان المفترض أن يؤمنوا بما أنزل الله إليهم في:

أولاً: التوراه والإنجيل وبما أنزل إلى محمد ثانياً وهو القرآن أما الذين آمنوا منهم، من القسسين أو الرهبان..

فكانوا إذا سمعوا الرسول يتلوا بعض آيات القرآن كانت أعينهم تفيض من الدمع وذلك حين وجدوا أن مايقوله هو مطابق لما بين أيديهم من نصوص صحيحة في التوراة والإنجيل وهاهو القرآن يذكر ذلك بالنص:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِّبْ مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

هؤلاء ومثلهم عرفوا حقيقة القرآن وما جاء به الإسلام فأسلموا لله رب العالمين لاشك أن أي عاقل وحيادي يلمس هذا التزاوج أو الإتحاد العقيدي بين الرسالات-لأن جوهر الرسالات كلها هو الإيمان بالله أولاً واليوم الآخر ثانياً أي الحساب والعقاب، والقيام بالأعمال الصالحات ثالثاً..

وهاهو القرآن يذكرنا بتلك المبادئ المشتركة، لدى الرسالات السماوية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِن ءَٰمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

أين هم الفلاسفة الحاقدون، الذين زرعوا بذرة الحقد والكراهية في الرسالات السماوية لتضطرع الأمم وتتكالب أول ما تتكالب على أمة الإسلام عامه..

وحاملي الراية الإسلامية من العرب خاصة.. نعم أين أولئك الذين زرعوا الفتنة بين الأمم فصوّروا الإله عدة آلهه، ولحد للإسلام وآخر لليهود وآخر للمسيحيين، وباليتهم وقفوا عند ذلك بل أشركوا الأب والإبن والروح القدس وعزير ابن الله... الخ .

أمن أجل ذلك جاءت زخوفهم تبشر تارة وتدرس تارة أخرى، وتنزل الحمم والبراكين على أرض العرب والمسلمين لم كل تلك النقمه على هذه الأمه - الإسلاميه العربيه وهاهي الإجاباه بالنص القرآني:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۢأَءَمَٰنَآ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنۢ أَكْثَرُكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

الحقيقه الكبرى في المسيحيه:

الحقيقه الكبرى في الإسلام والمسيحيه هي أن الله واحد في السماء والأرض، ويجب أن تترسخ هذه في القلب، حتى تصبح اعتقاداً أبدياً تنضوي في عقيدة التوحيد.. وغير ذلك، انحراف عن هذا الصراط الإلهي واشراك مع الله، والله لا يقبل أن يشرك به أحداً.

وهذه العقيدة عقيدة التوحيد، لا تتبدل أو تتغير وهي قد جاء بها كل الرسل والأنبياء، وكلهم بشروا بهذه الحقيقه.. أما في المسيحيه فقد ورد على لسان المسيح عليه السلام قوله:

(فجاء واحد من الكتب وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أن إجابتهم حسنه سألهم آية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك*^(١) وهذا نص انجيلي آخر:

(وهذه الحياه الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)* يوحنا اصحاب ١٧ عدد ٣.

(١). انظر انجيل مرقس ١٢ : ٢٨-٣٢

في هذين النصين تتمثل الحقيقة الكبرى في المسيحية وغير ذلك هو انحراف عن هذه الحقيقة.. وأنا أعجب كل العجب كيف تتحول هذه النصوص الى حقائق مختلفة بين عشية وضحاها وهذه النصوص لا تختلف عن قوله تعالى بالنص القرآني: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَسُوعَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ولا أظن غير ذلك إلا من صنع الإنسان لأن النصوص واضحة في الكتب المقدسة -الصححة.. حتى وإن نال بعضها نوع من التحريف إلا أن هذه الكتب لا تخلو من النصوص التي تصرح بوحدانية الله تعالى * كما رأينا من قبل ونلاحظ الآن :

فقد ورد في إنجيل متي أن إبليس طلب من المسيح عليه السلام أن يسجد له من دون الله حينئذ قال يسوع: (اذهب يا شيطان لأن مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد * (١)).

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية:

((لأن الله واحد)) * أينما نذهب تتجلى إرادة الله الواحد الأحد، لا يستطيع واحد من البشر انكار ذلك حتى بولس في رسائله إذ لا بد أن تجد شيئاً من الوحدانية والتوحيد بالله الواحد القهار.

وفي رسالته إلى أهل أغلاطيه (أما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد)*^(١).

وها هو ينطق بذلك في رسالة يعقوب أيضاً (وأنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل)* يعقوب ١٩، ٢.

أما يوحنا فيروي عن عيسى عليه السلام قوله :

(إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)*^(٢) ومتي يروي قول عيسى: (إن أباكم واحد الذي في السموات)*^(٣)

ويروي يوحنا في الفصل الأول من انجيله (الله لم يره أحد قط) وهو طبعاً بخلاف المسيح عليه السلام. كل ذلك ذكرناه من كتبهم وهم يشهدون بذلك بنصوص واضحة..

بشرية الرسول عيسى

المسيح إنسان وابن إنسان: ((قلما رأى قائد المائه ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً)*^(٤). كانت الجموع تعترف بأنه إنسان بار وابن إنسان يأكل ويشرب .

المسيح يأكل ويشرب: (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب)*^(٥).

فهو كسائر الرسل وذلك جاء بالنص القرآني: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ

(١). رسالة بولس إلى أغلاطيه ٣، ٢٠.

(٢). يوحنا ٢٠، ١٨.

(٣). متي ٢٣، ٨.

(٤). انظر لوقا ٢٣-٤٧.

(٥). انظر متي ١١-١٩.

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٧﴾ [الفرقان: ٧].

فالرسل من بني الإنسان وذلك حتى يكلموهم بنفس لغتهم ويعيشون معهم الحياه ويكابدون معهم ..

شظف العيش والفقر والضعف ويعانون من المرض.. ونرى المسيح في الإصحاح الرابع من انجيل يوحنا قد أعياه التعب وجلس على بئر يعقوب في منطقة السامرة فجاءته امرأه سامريه وطلب منها أن تسقيه فأبت أن تسقيه لأنه يهودي.*^(١) المسيح يحزن :

ثم أخذ معه بطرس وابن زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت.*^(٢)

المسيح لا يعلم الغيب: يقول وأما ذلك اليوم وتلك الساعه فلا يعلم بها أحد ولا الملائكه الذين في السماء ولا الابن إلا الأب.*

هذا غيظ من فيض الأنجيل وغيرها من أدبيات وتراث النصارى تنطق بالحقيقه الكبرى التي لامراء فيها ولا جدال بأن المسيح رسول من عند الله فيه الصفات البشريه جميعها أي هو بشر محض جاء برسالة واضحه، ونبي الى بني اسرائيل .

أما عن صفة عيسى كرسول :

فيروي يوحنا عن عيسى قوله: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)*^(٣).

(١). انظر انجيل يوحنا ٤-١٩

(٢). انظر متي ٢٦-٢٧-٢٨

(٣). انظر يوحنا ١٨: ٢٠

ويقول أيضاً: (ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم).*(^١)

ويقول أيضاً: (وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله)*(^٢)

أما في انجيل متي قوله (هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)*(^٣)

أما انجيل لوقا: قد خرج نبي عظيم *(^٤).

أما في انجيل برنابا فإن حقيقة عيسى كرسول واضحه أكثر وصفاته كبشر تتضح أكثر فأكثر فيقول عن نفسه:

إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قاله الناس عني من أنني أعظم من بشر.. لأنني بشر مولود من امراه وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضه للشقاء العام)*(^٥).

وهكذا نرى الإتفاق تاماً على بعض الأمور والقضايا الرئيسة من مثل بشرية الرسول، وقضية التوحيد ومن ثم صفات عيسى وكل الأنبياء من قبله إلا أن الأمر الذي يؤسف له أن هذه الأمور لم تنق كما كانت عليه فاستبدلت كل القضايا أو أغلبها ببدع ما أنزل الله بها من سلطان..

فالرسول تحول جيلاً اثر جيل الى ابن الله أو هو الرب أو هو والرب في مرتبة واحده، وبذا أساس التوحيد قد تهدم من الأساس وخاصة بعد إعلان الوهية المسيح ونكران صفته كبشر..

(١). يوحنا ٦:١٤

(٢). يوحنا ٨:٤٠

(٣). متي ٢١:١١

(٤). لوقا ٧:١٦

(٥). انظر برنابا ٩٤: ٢-١

الحقيقة الكبرى في الإسلام

وهكذا نرى في القرآن و الإنجيل أن الله واحد ولا شريك له فلا المسيح هو الله ولا هو ابن الله وهذه قضية لاتحتاج لكفاح وصراع وقد نطق بها القرآن والإنجيل - كما راينا- وتلك النصوص لاتحتمل الإشرak بالله وهذا في نص الایه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤].

والقضية التوحيدية هذه تحسم الأمر وتزح كل الطواغيت والأوثان والأرباب - الذين استعبدوا وحكروا عليهم العلم والعلوم والتفقه في الدين ومن ثم:

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذه القضايا الثلاث، هي أساس الحوار للوصول إلى الحقائق ومنها هذه الحقيقة الكبرى - حقيقة الله الواحد الأحد لأن أية قضية غيرها يمكن أن يغفر للإنسان- إن هو انتقص منها شيئاً أو أهملها أما الشرك فلا يغفر هذا الأمر من أي إنسان كان، وفوق كل ذلك يطرح القرآن قضية التوحيد الإلهي هذه للنقاش العلمي..

وهي تسهل على الإنسان- فهمها، وسيما العلماء منهم والمفكرين الذين يبحثون في ملكوت السموات والارض.. لابل يرى العلماء الذين حوربوا من الكنيسة أو غيرها حين بحثوا في ملكوت السموات والارض..

أمثال جاليلو الإيطالي أو سقراط أوغيرهم، من قبل ومن بعد أن القضية الأساسية هذه مطروحة للنقاش العلمي ودون خوف أووجل وسيرى هؤلاء وأولئك أن إلهاً، يسير هذا الكون، ولو كان معه آلهة أخرى لفسدت الأرض وسيررون أنه هو الذي يضر وينفع ويبسط الرزق لمن يشاء وما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وكذا محمد ابن عبد الله..

التوحيد والمعرفة الإلهية

أدركت البشريه مذ وجدت على ظهر الأرض، وعن طريق الإحياء الطبيعي -الفطري، أن هناك قوه عظيمه تعلو فوق كل القوى -بشريه أوطبيعيه، قدره على كل شيء، وأن عظمتها ظاهره للعيان في تقدير الكون وتنظيمه بسمت عجيب - إنه السميت الإلهي الذي لا ترى فيه من خلل أو تفاوت..

وهذا التقدير العظيم والفعل الذي لا يضاهيه فعل إن في الأنفس أو في الآفاق لهو الفعل الذي اصطلح عليه بالفعل الإلهي أو القدره الإلهيه وهذه تدل على الخالق الواحد وتوصل الى الكلمه الواحده (الله).

أو هي الحقيقه الكبرى.. الد ما فتىء الإنسان يبحث عنها، ومرة يهتدي ومرات يضل أو يتوه، ولكن على أية حال اهتدى بهديه الرسل والأنبياء أو المصلحين أو بالإحياء الفطري، كما ذكرنا ..

إلا أن مرات الضلال كانت أكثرها عناداً وتنطعاً وهو يعلم الحق اليقين، وحتى في مرات الهدايه والوصول إلى الحقيقه الكبرى كانت المشكله الرئيسيه دائماً الإشرارك بالله رغم الإعتراف بوجود الله. أو إتخاذ الأخبار والرهبان والوسطاء أرباباً من دون الله..

فكانت الطامه الكبرى، لأن الفاصل هذا بين الله وعبده هو الذي يحول بين المرء وربّه لأبل يضلّه ضلالاً بعيداً..

وكان أحسن اليقين والهدي هو الذي كان يأتي عن طريق العلم والإقتناع وهو سبيل ابراهيم إلى ربه..

حتى يكون من الموقنين، فكانت وسائله إلى ذلك النظر في الآفاق وفي النفس وهذا ولاشك سبيل النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض.. وقد طرح القرآن هذا السبيل لكل الأمم والشعوب حتى التي لم تأت بها الرسالات أو المبشرين أو

غيرهم فإن القرآن يطرح عليهم في زمن العلم الأسلوب العلمي للوصول الى هذه الحقيقة الكبرى..

والحق هي قمة الحقائق لانها تخلص الإنسان من المشاكل وتحرره من الطواغيت والأوثان، أما الذين يعبدون الله لأنه يضر وينفع شأنهم شأن الأولين في العبادة فهؤلاء يكون إيمانهم ضعيفاً، فبالطريقة التي دخل بها الإيمان نفوسهم عبر منافعهم بالطريقة ذاتها يمكن أن يخرج، وعلى هذا فإن إيمانهم لم يصل الى نفوسهم إلا عبر جسور مادية، وتصورات حسية، وهي أضعف من أن تقاوم أول ريح عاتية تصادفهم، فيصبح ذاك الإيمان عرضه للإنهيار ..

لأن أساساته مادية بحتة فتخطفهم الريح وتهوي بهم إلى هاوية الشرك والوثنية..

وفعلاً، ما أكثر ما يُشرك أمثال هؤلاء بالله ربما من حيث لا يدرون، حين تتحرف بهم أهواءهم ولوعهم المفرط بمتع الحياه ولذا نذها الى تقديس الأشخاص الذين كانوا سبباً في حياتهم المترفة ونعيمهم الزائل ومنعهم التي لاتدوم..

لذا لتخذوهم أرباباً من دون الله - يحبونهم كحب الله أو أشد حباً، وكأنهم نسوا أن ذلك النعيم الذي يتمتعون به هو من فضل الله..

لا من فضل أولئك، وهول الإبتلاء والإختيار ليرى كيف يفعلون ساعتئذ (وهو بهم عليم).

أما حين يدخل الإيمان القلوب ويتعمق في النفوس عبر منافذ العقل وتأملاته في ملكوت السماوات والأرض بحيث تصل حقيقة الله الى القلب كما ينبغي لها أن تصل، إذ بذلك تستقر فيصدق بها القلب ويلهج بأثارها اللسان ..

وبهذا الإيمان الراسخ، الذي لاتزعزعه الشكوك ولا المخاوف ولاحتى متع الدنيا ولا زخارفها، قلّت أو كثرت وبهذا يقبل الصائم على الجوع طلباً للمغفرة والمقاتل على الحرب طلباً للشهادة في سبيل الله، من أجل رضوان الله الذي وقرت محبته في القلب، ويقبل أيضاً الزاهد على محرابه متعبداً قابلاً، بشغف العيش في الدنيا من أجل محبة الله في الآخرة.

هؤلاء هم الذين يفهمون التوحيد بالله بمعناه الصحيح، لأولئك الذين لا يرون في الله إلا بمقدار ما يصلهم من متع وزخارف الدنيا العاجله.. لابل هؤلاء الذين وضحت عندهم فكرة الألوهية وضوحاً لايعتريه تغيير ولا تبدل، لذا كان القرآن حربصاً على هذا الطريق العلمي البحت للوصول إلى معرفة الله، والتوحيد به.. فبالقرآن وبالعلم وبآيات الله في الكون وفي الأنفس تتضح الرؤية وتنقشع الغمامه..

أما القرآن فلأن النموذج الإيماني هذا قد طرح فيه ولم يتغير وهو بمثابة إشاره ليس إلا، نحو استخدام وسائل العلم ووسائل الكون للوصول الى حقيقة التوحيد..

فبالعقل يقول القرآن تأملوا ملكوت السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار، الإنسان والحيوان والنبات والطعام، وهذه إشارات فقط على طريق الإيمان، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر..

*ويضرب الله مثلاً على ابراهيم النبي يبين كيف يصل الإنسان الى حقيقة الإيمان بالله فكان نموذجاً للبشرية يمكن أن يحذي حذوه كل انسان جاد بالوصول إلى الحقيقة فيقول تعالى:

فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ

مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [الأنعام: ٧٥] .

تلك البدايه، النظر والتأمل وبهما وصل الى الحقيقه، كما نرى أيضاً:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ ۖ وَمِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩].

هذه التجربه الإيمانيه يمكن أن نطبقها في كل العصور حتى في عصرنا العلمي الحاضر الذي وصل فيه الإنسان من التقدم الى أن وضع قدماء الأولى على سطح القمر، وإن لم ينفع هذا معهم..

فهم بذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: ((التركبن طبعاً عن طبق فمالهم لا يؤمنون)).

وفعلأ سيصعدون سماء بعد أخرى وهم بعد لا يؤمنون أو ربما لا تكفيهم تلك البراهين والأدله على الوجود الإلهي،..

* فربما الآيات الآتية: في خلق الإنسان تتفعهم على هذا الدرب

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٣﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٤﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

هذا هو القرآن وهذه هي معجزته الأبدية كتبت في القرآن منذ أربعة عشر قرناً وهي مازالت صالحه لكل زمان ومكان، تخاطب القلب والجسد والعقل يقول تعالى بعد ذلك:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ربما ذلك لا يكفيهم للإيمان.. فإن كان فما بالهم بالآيات الآتية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

نعم ما بالهم بذاك القول أهو من عند محمد؟ وإن كان! فكيف بإمي لا يقرأ ولا يكتب يأتي بمثل ذلك الإسلوب العلمي..

في موضوع علمي، لم تتضح معالمه بعد إلا في هذا العصر وبعد عشرات السنين من البحث المتواصل ..

وفعلاً كان آخر نتيجته علميه لا تقبل الجدل والشك، أن الإنسان خلق من تراب لابل عناصر الإنسان هي نفسها عناصر التراب -الطين- من مثل معادن الحديد والفسفور والمنغنيز والكالسيوم والبوتاسيوم.. الخ. ولكن ذلك مكتوب في القرآن منذ أربعة عشر قرناً كما يأتي :

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

هذا عن خلق الإنسان وهم أدركوه أخيراً بالتجربة العلمية.. ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ

بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

* لا بأس فلنحدثهم عن طعامهم لعلهم لا يلحدون، فيؤمنوا برب العالمين وهذا قوله

تعالى بالنص القرآني: ﴿أَنَا صَبِّتُ الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا

حَبًّا ۚ وَعَبَّأْنَا وَقْضًا ۚ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخْلًا ۚ وَحَدَّائِقَ عُظْمًا﴾ [عبس: ٢٥-٣٠].

هذه مراحل اخراج الطعام من الأرض إن استطاعوا غير ذلك فليتقدموا

بالبرهان..

وهذا الدرس الابدي في الزراعة لا يتغير ولن يتغير، وهذه التأملات القرآنية
الممزوجة بحقائق العلم والمكتوبة في صفحة الكون إن دلت على شيء فإنما تدل
على أن الذي خلق الكون هو نفسه الذي وضع الناموس العلمي..

وهو نفسه الذي أوحى بالقرآن للإنسان والحقيقة التي أودعها الله في الكون
وهي الحقيقة الكونية هي نفسها التي أوجد لها الناموس والقانون العلمي وهي نفسها
المذكورة بآيات من الذكر الحكيم.. وهكذا يذكر المولى عز وجل أن أولى الألباب
والعلماء هم أقدر من غيرهم على فهم العلاقات الوثيقة بين الحقائق الكونية والعلمية
والقرآنية.. وهؤلاء هم الأقدر على فهم الحقيقة الكبرى التي مهدت وقدرت كل
شيء كما نرى في النص قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

* وعن الشمس والقمر يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ لِأَجَلٍ

مُسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

والعلماء وحدهم يفهمون حقائق الشمس والقمر أو أقدر من غيرهم على فهم ذلك وعليه فإن سبيل الحوار العلمي هو السبيل القويم للوصول الى معرفة الله معرفه حقيقه، وما داموا هم أهل العلم والحضاره كما يدعون ..

فانطرح قضية الوجدانيه، بيننا وبينهم للنقاش العلمي والحوار الفكري وها هي القضية التي أشار إليها القرآن. فالذي جاء بالقرآن عن الشمس لا يمكن أن يكون من صنع إنسان وهو لا يملك بعد من وسائل العلم شيئاً..

فالشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ لَغَزْ مَجْهُولٌ وَلَكِنهَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿[يس:٣٩، ٣٨].

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

هذه الحقائق عن الشمس والقمر والليل والنهار هل تغيرت، لا وألف لا.. وإنما الإنسان هو الذي يفهم منها بمقدار ما يعلمه ويعرفه من العلوم وبمقدار ما يملك من الوسائل وأما الحقائق فهي في الكون ثابتة لا تتغير وكذا هي في القرآن..

أما حقائق الليل والنهار ((فلا الليل سابق النهار))، أيضاً..

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ الْيُسَيْنِ وَالْجَسَابِ كُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء:١٢].

والهدف من كل ذلك:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيْسَاتٍ ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ٩-١١)

وأخيراً ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالْحَسَابَ﴾ (الإسراء: ١٢).

هذه الحقائق مختصره، ولكنها إشارات تفتح آفاقاً رحبه للعلم والمعرفه ولم تكن تلك الآيات بذى معنى قبل عصر العلم والمعرفه وإن وجدت منذ الأزل، ولكنها الآن فقط اتضحت وعرفت علاقه الزمنيه، من مسيرة الليل والنهار.. وعليه فإن القرآن والكون آيات محكمات متسقه وبعضها البعض، وأما الإنسان فهو الذي يتأخر عنها في المعرفه والآيات الأخرى في الليل والنهار: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (يس: ٣٧).

ونقول للذين فصلوا الدين عن الدوله واعتبروا التقدم والحضاره هو الثمره، لذلك نقول لهم أن الأمر عندنا ..

مختلف ولايجوز أن يؤخذ الإسلام أوالقرآن بجريرة ما فعلته الكنيسه، باسم

الدين المسيحي في مطالبتها ومحاربتها للعلوم هؤلاء وغيرهم نقول لهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِاللَّيْلِ فَسَكُنُوا فِيهِ أَوْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ (القصص: ٧٢).

هم صعدوا الى القمر، وقالوا لم نجد في صعودنا ما يسمونه (الله)، ولكن نقول إن القمر الذي وصلوا اليه هو ظاهره كونييه موجوده من قبل وكل ما فعلوه لا يخرج عن هذه الآية:

﴿يَمْعَشَرُ الْجَيْنَ وَالْإِنسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وها هو سلطان العلم يوصلهم الى القمر، وإن وصلوه متأخرين فإن الإذن قد صدر لهم من قبل.. وحتى صعودهم الى السماء، لم يغير من حقائق القمر من شيء.. وكل ما فعلوه هو الوصول الى جزء ضئيل من مخلوقات الله التي لاتعد ولا تحصى.

كان الحري بهم وهم يصعدون إلى السماء ويرون ملكوت السماوات والأرض أن تشخص أبصارهم ذله وخشوعاً وإيماناً بالله رب العالمين.. وماذا بعد، هل نحدثهم عن الماء أو السحاب أو الرياح.. أما عن الماء فيقول تعالى في محكم آياته وبالنص القرآني:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: ٤٥].. والماء هو أساس الحياه كما نرى من هذا النص :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ [الزمر: ٢١]

وبعد.. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩، ٦٨].

وعن الرياح والسحاب يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَافِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال أيضاً:
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

نسوق ذلك من آيات تبحث في العلم والعلوم لايقدر عليها لاعالم ولا نبي أُمي وذلك لكي يؤمن الذين لا يؤمنون بوجود الله وأن القرآن ليس من قول البشر،.. وهذا أمر لابد ان يدركه العقلاء من القوم كما جاء في الآيه، وما داموا قد وصلوا الى القمر وهم تفوقوا في العلوم والمعارف فليسمعوا هذه الايه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ أَلَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وهكذا يمكن القول أن هذا الجيل أوتى من أسباب التوحيد الإلهي الوسائل الكثيرة العلمية منها وتجارب الأولين في العبادات، ومن ثم هذا الكتاب العظيم القرآن، الذي تتسق آياته مع آيات الله في الأفاق وفي أنفسهم لعلهم يهتدون، وهذا يؤكد القرآن بقوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٢].

وبعد نقول لمن ران على قلوبهم صدأ الكفر والإلحاد والشرك أن هذه الآيات تدلل على صفات الخالق.. التي لا يشاركه فيها أحد فكلها من صنع الله وتدبيره وأعجز على الإنسان إن كان نبياً أو ولياً المسيح عيسى ابن مريم أو محمد ابن عبد الله أو موسى أو غيرهم لأن يأت بمثل ذلك أو يشارك بفعل ذلك ..

وهذه الامور لا بد أن توصل الى الحقيقة الكبرى حقيقة الله الواحد الأحد وهاهو يوحى الى الرسول بمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤]

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿قُلْ مَن يَدْعُو مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ [٨٨] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

أما الذين يشركون مع الله آلهة أخرى ويؤمنون بتعدد الآلهة نقول لهم قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

وأما الذين يطلبون العون والنجدة من غير الله نقول لهم قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].
وأما الذين يعتقدون بوجود الله ولكن أشركوا به وجعلوا له أبناء نقول لهم قوله تعالى :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

هذا تفسير منطقي وعقلي لعدم وجود إله أو أبناء أو حاشيه مع الله لأنه لو وجد أكثر من إله لفسدوا في الأرض واعتدى بعضهم على بعض وذهب كل إله بما

خلق وهذه الواقعة إشاره الى إدعاء المسيحيين واليهود في قولهم بالنص القرآني:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾
[التوبة: ٣٠].

أو قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّتُوهُ﴾ [المائدة: ١٨].
فيقول لهم المولى عز وجل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّتُوهُ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

أما صورة المسيح في القرآن ومكانته فقد ذكرناها في بداية البحث فهو رسول
قد خلت من قبله الرسل. ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء:
١٧٢].

وهكذا نرى أحقية القرآن كمستند صدق في الديانات والرسل والأنبياء وعليه
نرى فيه قيمة الإسلام ومركزه من الديانات الأخرى ولذا قال المولى عز وجل إن
الدين عند الله الإسلام..

الفصل السادس التجربة الإسلامية

الدين عند الله الإسلام

نعم يكون بذلك الإسلام هو دين الأرض، وبإرادة من السماء فقد احتوى كل الأديان برسالاته القرآنية الشاملة، من حيث التشريع والحكم والعقيدة، وفيه الكلمة المشتركة بين الأديان، والتي كتبت أيضاً في التوراه والإنجيل وكل الكتب السماوية وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هذه هي القاعده الجوهرية في الأديان وهي الوحيدة الصالحة كأساس لحوار الأديان ..

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا هو المضمون الموحد للرسالات، مكتوب فيها بوضوح ولايستطيع أحد من المسلمين أن ينكر ذلك على التوراة أو الإنجيل فهو مكتوب بالنص القرآني، وأما المشكله الرئيسيّه فهي غير مؤكده لديهم بنص واحد لأنها لم تبق-كتبهم على النص الأصلي، التي نزل بها الوحي من الله مباشرة.. وإنما هي مؤكده في القرآن، من هنا نرى وجوب الإعتماد على القرآن خاصة في المسائل الدينيه المختلف عليها بين الأديان لأن الله تكفل بحفظه من أي تبديل أو تغيير..

وعليه مازالت الحقائق الدينيه ناصعة البياض في القرآن الكريم وكلها تفضي الى مضمون الإسلام من حيث التوحيد، وعدم الإشرارك بالله، وهذا هو التسليم لرب العالمين والذي أخذ اسم الإسلام ..

ولم نبعد كثيراً فلنرى الأنبياء وهم يهتفون من قبل بالإسلام، فها هو ابراهيم عليه السلام أول من كان من المسلمين..

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وكلمة الإسلام تعني التسليم لله وحده لا شريك له، وقد يكون هذا التعبير ناقصاً، فلا أحسن من تعبير القرآن وهو يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقصة الدين الذي ارتضاه الله للإنسانيه شهد به كل الأنبياء وهو بذا يكون الدين المقبول عند الله كما نرى من النصوص القرآنية: الإسلام هو ملة ابراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٠].

ومن ثم وصى ابراهيم بها بنيه ويعقوب:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ومن ثم وصى يعقوب من بعد ذلك بنيه بالملة الإسلامية ملة ابراهيم بقوله تعالى:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهكذا نرى أن قصة الاديان والإيمان بها تحتاج إلى مستند صدق، لا يرقى إليه الشك كالقرآن وهو خير مستند لهذا الهدف والأمر كما نرى واضح جلي لا يحتاج إلى شرح أو زياده عليه..

والذي يريد معرفة الحقيقة في الآخرة وما يتعلق بها في الحياة الدنيا لابد أن يلجأ للقرآن الذي أبان أن الإسلام هو دين الله..

وهو المقبول في الآخرة عند الحساب والعقاب أما الأخرى خاصة الصحيحة فهي مصدرها الله وهي تدعو للإسلام -كما رأينا- وأما هذه الأسماء فهي من صنع البشر، فالدين عند الله هو الإسلام كما نرى في النص القرآني الآتي: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتٍ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

والأنبياء دعوا كلهم بدعوة الإسلام، وهاهو يوسف عليه السلام يقول بقوله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وها هو عيسى عليه السلام يقول بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وها هو سليمان يدعوا ملكة سبأ الى الإسلام: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

وهكذا، يوضح القرآن أن جميع الانبياء مكلفون من إله واحد لتبليغ رسالة واحدة، هدفها واحد وهو التوحيد بالله، رب العالمين.

هذا هو جوهر الديانات الذي احتواه الإسلام ورسمه بأحسن صوره، وكان الأديان —أُخترت في دين واحد وشرعية واحدة وكل الرسل والأنبياء جاؤوا بشرية واحدة من عند إله واحد..

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

حتى فرعون لما أدرکه الغرق نطق بالإسلام ولكن بعد فوات الأوان فيقول تعالى:

﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

بشرية الرسول - محمد عليه السلام

وبعد ونحن ندعو بدعوة الإسلام لأبد من الإعتراف أن هذا الدين قد تعرض لمحاولات توقيفه بينه وبين الأديان والملل الأخرى حتى أجاز البعض ما أجازته المسيحية الغربية من فصل الدين عن الدولة واللاحق بركب الحضارة الغربية كبديل، وابعاد الدين عن العلم والمجتمع من أجل التقدم ..

والحق، إن كل تلك المحاولات هي بمثابة تكرار الذي حدث في المسيحية، ودخل على الإسلام غرباء كثيرون أرادوا أن يحتلوا دور بولس في المسيحية، بل وعملوا من أنفسهم طواغيت وأوثان مقربين يشفعوا للناس عند الله..

وكلها محاولات باعته بالفشل لأن هذا الدين هو دين الله وهو المحفوظ بأمر الله من التحريف والزلل، بحفظ دستوره الأبدي القرآن من كل الإنحرافات.. وقد تعرض القرآن لكل هذه الأمور بوضوح شامل لئلا تقول الناس كما قالوا من قبل (المسيح ابن الله) ومن قبلهم اليهود:

(قالوا عزيز ابن الله) وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بالنص القرآني على بشرية الرسول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعلى هذا فالرسول بشر ورسول ورجل.. قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَمَسَلُوْا اَهْلَ الدِّيَارِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [النحل: ٤٣] .

وهم كغيرهم من البشر يظنون ظناً في الآراء والأحكام التي ينطقون بها خارج ظاهرة الوحي ومهمة التبليغ فما هو الرسول يؤكد على ذلك فيقول:

(إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلىّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من نار). وقصة تأبير النحل أظنها معروفة حين قال: (ما أظن يغني ذلك شيئاً)، ولكن تأبير النحل اعتاد عليه القوم واعترف بنجاعته الجميع فيتدارك الرسول الأمر فيقول: (أنتم أعلم بأمر دنياكم). ويقول أيضاً:

(فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل). صحيح مسلم ١١٨، ١٣٠. وعلى هذا فإن ظن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخطأ الهدف وهو يقول أيضاً:

(إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب ولكن ما قلت لكم (قال الله) فلن أكذب على الله)..

وهكذا يؤكد القرآن، وحتى الرسول نفسه على بشرية الرسول -أي رسول، وأنه لا يجب أن تصل محبته مثل محبة الله -

أو تقديسه مثل تقديس الله أو إلصاق الألوهية على أي شخص كان، كما فعل النصارى مع المسيح واليهود مع عزيز ..

لذا أكد القرآن على مثل هذه الأخطاء، وها هو ينبه الرسول الى مثل ذلك فيقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]. وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ الشُّوْءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ونفهم من ذلك كله أن الرسول خارج مهمة التبليغ أو ظاهرة الوحي شأنه شأن غيره من البشر، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، ويمسه كما يمسه السوء، فلاهو بملك.. ولاهو بإله ولاهو يملك خزان الأرض. ومن ثم يظهر جلياً في القرآن وضع الرسل الصحيح. فيقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَعِبْنَا إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيْنَا﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأما ضمن ظاهرة الوحي فمهمة الرسول تبليغ الناس ما يوحي إليه من ربه دون زيادة أو نقصان، حتى كلمة قل يلفظها كما وردت مثل: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وعلى هذا فإن الرسول في الإسلام لايملك أية صفة من صفات الألوهية، وكل ما يطلب من المؤمن فعله هو اطاعة الرسول فيما أتاه من ربه، وهذا من ضرورات الإيمان لأن إطاعة الرسول..

هي بمثابة إطاعة الله وإطاعة أوامره، فالتكاليف والتشريعات التي يأت بها الرسول، هي أوامر إلهية لا بد من الإمتثال لها وعليه (ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله).. وعلى ذلك اتضحت معالم الطريق السوي التي تجمع الأديان على أمر واحد وعرضنا ذلك بالتماذج القرآني، من مثل حقيقة وجود الله وكيفية الوصول لهذه الحقيقة، وبيننا طرق ذلك وأهمها من آثاره الدالة عليه في الكون ومقارنة ذلك مع آيات القرآن..

والتي تتسق مع آيات العلم وحقائقه في الكون.. وعليه نرى آثار الله في كل ذرة من حياتنا،

في طعامنا ومائتنا وشرابنا وفي الأرض وفي السماء، كل ذلك ينطق ويسبح بحمد الله وعليه : ﴿نَسِجُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وطريق التوحيد به ماثله في وهج الشمس وضياء القمر، في ظل الشجر وفي علوم القرآن وآياته، لابل في كل سطر من سطره لابل في الفاصله، وفي النقطه التي ما برحت محتفظه بمكانها الذي زرعت فيه منذ أربعة عشر قرناً، وبعد نقول لأصحاب العقول ..

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

التجربه الإسلاميه في أوروبا

من بين المقولات التي روج لها المبشرون أن الإسلام ما انتشر ولا وصل الى أوروبا وحدود الصين إلا بالسيف والقتل والحرب والإرهاب، وأن سمة الحرب والقتل سمه رئيسه في المنهج الإسلامي في سبيل نشره بين الأمم، يقول توماس كارلايل في كتابه (الأبطال):

حين الحديث عن النبي: (إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجاب له دعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقاتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ..)^{١٠}

وفي معرض تفسير المنار لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) يقول الإمام للرد على من يزعم أن الإسلام قد قام بالسيف فيقول: كان معهوداً عند بعض الملل لاسيما النصارى حمل الناس على الدخول في دينهم

(١٠). ظاهرة انتشار الإسلام / محمد فتح الله الزيايدي/ ص ٢٠٣

بالإكراه وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين لأن الإيمان و أصل الدين، وجوهره عبارته عن اذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه وإنما يكون بالبيان والبرهان. (١)

جاءهم الإسلام بالمجادلة الحسنه

فألزم المذكور لا أساس له من الصحة، لأن الآيات القرآنيه واضحه في هذا السياق، وكلها تدعو الى المجادله الحسنه واللين - في الوعظ والإرشاد واتباع سبيل الفكر والبرهان - والقرآن هو الذي أشار أولاً الى الدليل العقلي، والبرهان كأساس جوهري..

للمجادله والحوار.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]. وقبل ذلك قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال أيضاً: (وجادلهم بالتتي هي أحسن). ودون تسلط أو قسوه وهو الذي قال أيضاً: (لست عليهم بمسيطر)..

لأن من يؤمن فإنما يؤمن لنفسه فانه غني عن العالمين وهو الذي قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].. هكذا كان لسان المسلم يلهج ليل نهار وهو يبشر بدينه بين الأمم والشعوب، كان القائد فيهم كما الفرد، يعلم ذلك علم اليقين ولبث الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر بالدين الجديد بين قومه.. سنوات وسنوات باللين والموعظه الحسنه، فهذا مبدأ أساس من مبادئ الإسلام، حتى قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

(١). الفكر الديني في مواجهة العصر / عفت الشرقاوي / ص ١٦١

ويوم جاء الرسول نبياً ورسولاً للعالمين لم يكن يملك من متاع الدنيا شيئاً ولا من عددها أشياء، فلا يملك العدد والعدة..

وفوق كل ذلك عرض عليهم الدخول في الإسلام وهم يملكون ناصية الدنيا كلها يملكون العظمة والقوة والصولجان ..

رسائل الرسول الى ملوك الأرض والردود عليها

وبعد تعالوا نقرأ عن رسائل الرسول الى عظماء الدنيا ساعتئذ، لنرى كيف بدأ الرسول خطابه الى العالمين وكيف كانت دعوته للإسلام، هل هي بالسيف وحده أم بالإقناع والحوار والمجادلة الحسنه ومن ثم كيف كانت الردود عليها:-

هرقل عظيم الروم يقول: هو والله الذي بشر به موسى وعيسى الذي كنا ننتظره وهوكما نعلم من علماء النصرانية..

أما رسالة الرسول الى ملك الفرس والتي حملها شجاع ابن وهب فهي تحمل النص الآتي: إني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وقد أثار الكتاب في نائب كسرى في اليمن فأسلم وكان فارسياً..

*أما كتابه الى النجاشي، ملك الحبشه فكان له أثر كبير في نفس الملك العظيم لأنه علم أن ما في رسالة محمد ورسالة المسيح الصحيحه، هو واحد لابل ينبعان من سراج واحد، ولولا علمه بانتهاء مهمة المسيح ورسالته ومجيء رسول من بعده اسمه أحمد..

لما أسلم وهو الذي قال -أشهد أنك رسول الله مصداقاً صادقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين..

*أما كتابه للمقوقس عظيم القبط، وكان حامله حاطب ابن بلتعنه، فقال المقوقس أن هذا النبي لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده

بالمسحر الضال، ولا الكاهن الكذب، وقال لعمرى ما بشارة موسى بعبسى إلا كبشارة عيسى بمحمد.

هكذا يمكن أن نفهم الرسائل السماوية والأديان، وكأنها حلقات في سلسلة يتبع بعضها بعضاً، ومن ثم كان الإسلام هو كامل السلسلة..

أما المعارك التي خاضها المسلمون فهي من قبيل الدفاع عن النفس في مواجهة الشرك والإلحاد -الذين تحالفوا ضد الإسلام والمسلمين، فأنه لابد أن يتم نوره ولو كره المجرمون والمشركون بالله العظيم. من هنا فرض الله القتال على المسلمين وهو كره لهم، لرد قوى الشرك والإلحاد عن ضلالهم ولردعهم، وهم من قبل الذين أخرجوا الرسول ومن معه من ديارهم وأموالهم.. لذا أن الله لهم بالقتال..

وفي وصايا القادة العسكريين في الحروب أكبر دليل على الحروب المقدسة التي خاضوها، فهي لله وفي سبيل الله، لا من أجل التنفيس عن حقد يملأ الصدور، ولا من أجل مال أو غنائم ولا من أجل انتقام أو ثأر، بل هو في سبيل نصرته دين الله في الأرض..

أو هو من قبيل الدفاع عن النفس. ولنسمع وصايا القادة في الحروب الإسلامية.. أما وصايا الرسول فمنها: عن أنس رضي الله عنه - قال إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقول للقادة:

انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله .. فهذا قتال من أجل نصرته الدين والعقيدة.. ((ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا)). وهذا أمر يُعد مفخرة في شريعة الحروب المقدسة، وكان الإسلام أول من أرسى أسس الحرب المشروعه وقوانينها العادلة فيقول لهم:

(وأصلحوا. وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).. وهكذا، لا يظهر أي مستند من وصايا الرسول يدل على سمة الإسلام في الإرهاب والعنف بل الهدف نصره الله والإحسان والإصلاح فإن الله يحب المحسنين. وهذه الوصية نفسها تقريباً التي قالها لعبد الرحمن ابن عوف حين أرسله الى دومة الجندل.. أما عن حرية الأديان ومجادلتهم بالتي هي أحسن فيقول: (ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً في صومعه).

هذه كلها تبين أن دعوة الإسلام لابل الحقيقة الإسلامية ما انتشرت إلا باللين والمجادلة الحسنه فإن لم تأت بذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. أما الذين يتصدون للدعوة الإسلامية بالسيف فلا جدال معهم إلا بالسيف، قال تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦].

ومن ثم الإسلام جاء بالحرية

وهكذا كان دين الإسلام في نشر رسالته القرآنية، المسلم الفرد والقائد العسكري والخليفة.. وقبلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، عرفوا ذلك ووضعوه نصب أعينهم في نشر رسالة القرآن بين الأمم كيف لا وقد جاء رحمة للعالمين.. وفعلاً كان رحمةً وهدى للأمم والشعوب، وقد خلّصها من الأوثان والطواغيت، ورفع، عن المظلومين قيود الحكم والجاه والسلطان أمثال فرعون وقارون وهامان...

نعم خلّصهم من شياطين الإنس وكوابيس الخرافات والأباطيل التي زرعتها المشعوذون والدجالون في النفوس وأعطاهم درساً في اللطف واللين والرحمة والعدل وخلصهم من قوى الظلم والعدوان..

وفوق كل ذلك جاءهم بالحرية والإنطلاق وكل ما دعاهم اليه هو الإيمان والتوحيد بإله واحد. ودين واحد.. وعليه أنار دروب المظلومين وسط العتمه، وسأوى بين الفقراء والأغنياء، وأحيا البشريه بعد موتها وخرجهم من الظلمات الى النور..

حتى بالمقاييس الماديه -لا الروحيه، وهي المقاييس التي يزنون بها قيمه الأشياء، نعم حتى بهذه المقاييس، لم يفعل لهم الإسلام إلا كل الخير، والأمم وتاريخها يشهد بكل ذلك..

لأبل الدرس الأول في الحرية -تلقوه أول ماتلقوه هناك في الأندلس، على يد القاده المسلمين الذين خلصوا الناس من الخرافات والأغلال بأنواعها وأشكالها المختلفه، وأطلقوا يد الإنسان في الحقل وفي المعمل وفي المدينه وفي القرية، حتى تحولت القرى والشعاب الى عمل متواصل..

هكذا كانت الحرية في عرف الإسلام وتقاليده المسلمين، وهم يروجون بغير ذلك، لأن الحرية عندهم، ربما تكون التخلص من الأديان وقيودها التي جربوها من خلال الممارسات التي لم تكن من أصل الشرائع في شيء، ولكن إن حصل ذلك حتى عندنا فهذه أمور طارئه لادخل للأديان فيها فهي ليست من شرائع السماء بل من شرائع الإنسان من أجل الإستغلال..

وعليه لايجب أن ينعكس ذلك على شريعة القرآن.. الذي جاء بالحرية الخاصه في العلم والعمل والإعتقاد وجعلهم يسировن على صعيد اعتقاد واحد والإيمان فقط بإله واحد..

فالحرية التي علمها الإسلام للبشريه، كل متكامل، للناس بمختلف ألوانهم وأجناسهم وصفاتهم، وحيثياتهم، والناس عند الإسلام سواسيه كأسنان المشط..

نعم كل ذلك يعترف به أي محايد لايهمه في الحكم إلا العدل ولا شيء غير العدل وهناك الكثير من لهج بهذا واعترف لأهل الفضل بفضلهم ولأمانة لنا في ذلك فهو من فضل الله علينا..

الإسلام جاء بالعلم والمدنية

نعم الإسلام، جاء بالعلم والمدنية والحضاره بأسمى معانيها وأحسن صورها، وهذه الآثار ما لبث يلهج بآثارها البقية الباقية من مفكريهم الغير حاقدين على الإسلام والمسلمين..

وحتى بعد خروج العرب من الأندلس لم ينقطع الحوار والتواصل العلمي بين الطرفين - فبقيت اللغة والارقام وسيله فعالة لهذا الحوار حيث تقول المؤلفه زيغريد هونكه:

(ولدينا دليل على كل هذا في تفسير (آدم ريزا) للأرقام الرومانية بالأرقام العربيه ليسهل على الناس فهم الأعداد الرومانيه.. وبقيت الأرقام العربيه تفعل فعلها في بلاد الغرب وقامت بدورها في العلوم والرياضه والإقتصاد على مر الأيام خير قيام* (١)

وتورد المؤلفه عن روم لاندو (من كتابه الإسلام والعرب) هذه السطور: ولقد كانت الخدمه الرئيسيه التي أسداها العرب في هذا الحقل هي استخدام الصفر (الفراغ) كما دعاه العرب.* (٢)

(١). انظر/ شمس العرب تسطع على الغرب/ص١٠١/زيغريد هونكه

(٢). نفس المصدر ص١٠٩

وفي مكان آخر تقول: لقد كان العرب أساتذة خلاقين في علم الرياضيات.. ١٥٦ وتذكر بعض العلماء الذين أثروا الحضارة الغربية ومنهم: ابن سينا-الذي برع في في الرياضيات والفلك-١٦٢

وأما الفارابي: فقد كان فيلسوفاً رياضياً فذاً ذائع الصيت وتقول أنه لمن المستبعد جداً أن تكون نظرية الفارابي وابن سينا في الاحجام اللامتناهية الصغر هي التي أمدت اعلماء الغربيين..

فيما بعد وعبر القرون بنظرياتهم في الذرة.. وربما هي تقصد في ذلك أنهم وضعوا الأسس الأولى لذلك.. وتقول كلمة جامعه في هذا الصدد: أن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال، وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المتثالثات الدائرية وبصرياتهم الدقيقة -كل ذلك أفضل عربي على الغرب ارتقت بأوروبا الى مكانه -مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تنزع العالم في ميادين العلوم الطبيعية..^(١)

تقول هونكه في كتابها: ..خرجت الى الوجود موسوعه طبيه ضخمة، استعملها الأطباء الاوروبيون خلال مئات السنين ككتاب للتعليم.. وكان واضع تلك الموسوعه الهائله رجل ذاعت شهرته في الآفاق حتى أنه لقب باعظم طبيب في القرون الوسطى إنه: الرازي.. وتقول عن الرازي -هو الموسوعي الشمولي الذي استوعب كل معارف سالفه في الطب وهضمها وقدمها من قبيل التواصل الحضاري للإنسانيه-كما تقول أحسن تقديم..^(٢)

وتقول عن ابن سينا هو أعظم معلمي الغرب في الطب -في مدرسة الطب بباريس لمدة سبعمائه عام.^(٣)

(١). هونكه /١٦٣

(٢). المصدر نفسه ٢٥٧

(٣). المصدر نفسه /ص ٢٩٠

وعن ابن الهيثم نقول: ولد في البصرة (٩٦٥-١٠٣٩) وهو من علماء العرب في الرياضيات والطبيعات من مؤلفاته (المناظر) وكان له أثر في معارف الغربيين و(كيفية الإطلال) وغيرها.

وعن جابر ابن حيان نقول: كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً، منها صناعة الكيمياء وله فيها تأليف كثيره ومصنفات مشهوره ومن مؤلفاته (كتاب السبعين) (كتاب الخواص) (كتاب السموم) وكتب كثيره أخرى.

وفي الواقع تورد اسماء كثيره غير ماذكرنا ولكن لانستطيع أن نمر على كل الأسماء لكن يمكن الإشارة الى ابن رشد وابن النفيس والبتاني وغيرهم كثير ممن أثروا الحضاره الإنسانيه وخاصه الغربيه وهنا كلمه يقولها أحدهم: (هو) اغريافون نتيسعاعيم^(١).

(..لذا استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقه نفسها التي استقبلت بها كتب أبوقراط وجالينوس ونالت حظوه قصوى عند الناس الى درجه أنه اذا ماحاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الإستناد اليها اتهم على أهون سبيل بالعمل على الإضرار بالمصلحه العامه..

وفي مراكز العلم الأوروبيه*^(٢)، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء الاومد يديه الى الكنوز العربيه هذه يغرف منها ماشاء الله له أن يغرف وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذاب.. وتتابع القول:

ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك الا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من ينباع العربيه.. وأنا أقول أليس في هذا هو

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه /ص٢١٣

(٢). المصدر نفسه /ص٣٠٥-٣٠٦

قمة الحوار الفكري - الإسلامي المسيحي والتواصل الحضاري المملوء بالتسامح أو التعارف الأصيل بين الأفكار..

فأخذوا يترجمون كثيراً من المخطوطات العربية الى اللاتينية، وجاء كثير من العلماء من جميع أنحاء أوروبا ليتعلموا العلوم الإسلامية وليقرأوا الترجمة العربية للمؤلفات الإغريقية.

هذا واحد منهم يشهد بفضل العرب والمسلمين على أوروبا إثر تجربتهم الفذه في تلك البلاد، وهامي تظهر الحقائق أمام الدارسين الجادين والمحايدين منهم..

أما قوى الظلم والإستغلال ودعاة الصليبيه فقد قالوا عن الإسلام غير ذلك، قالوا عنه جاء لأوروبا بالكره والإجبار وعلى حد السيف، وقالوا عنه أيضاً: إنه دين التخلف والماديه، رغم الذين شهدوا لنا بغير ذلك.. كما رأينا، ونرى من كتاباتهم فيقول هامبولدت: (١)

ان العرب هم واضعوا أساسات العلوم الطبيعیه بمجملها، ولعل في المقارنه التي يضعها سيد أمير علي في كتابه روح الإسلام عن مركز وأهميه العلم في المسيحيه وعهودها المختلفه وكذا الإسلام وفي بقاعه المتعدده وسيما حين دخل في تجربته -البلاد الأوروبيه..

نعم نقول لعل في تلك المقارنه أكبر دليل على سماحة الإسلام وسعة آفاقه في شتى الصعد الحياتيه -الإجتماعيه والسياسيه، واخيراً العلميه، فيقول عن العهود المسيحيه ونظرتها للعلم والعلوم والمتعلمين.. ما مفاده بإيجاز: في عهد قسطنطين أغلقت معاهد الدراسه الى الأبد* (٢). أما على صعيد المكتبات فقد تبعثرت أو جرى حرقها..

(١). انظر /روح الإسلام /سيد أمير علي ص ٣٥٧

(٢). انظر روح الإسلام ،سيد أمير علي / ص ٣٥٧

وأما على صعيد العلوم بشكل عام فيقول: كانت تعتبر من السحر ويعاقب متعاطوها بتهمة الخيانة، أما عن الفلسفة والعلوم الطبيعية بشكل خاص فقد تم استئصال شأفتها من الأساس.

وفي خضم هذا الجو المعاكس للعلوم والمعرفة والحرب الشعواء التي فرضتها الكنيسة على العلوم والمتعلمين ومكتباتهم ومن ثم قامت بحرقها، كما أحرقت مكتبة بلاتين، بحيث لم يبق في أوروبا إلا المذهب الميثولوجي لقرون عديدة.. في هذا الوقت كان يشع الإسلام بنوره الساطع على الأمم والأمصار ويرسي أسس وقواعد العلم على مرتكزات خالده وبأحاديث وآيات لا تمحى عبر الزمن. ومن أحاديث الرسول عن مكانة العلم والعلماء قوله:

((تعلموا العلم فإن تعلمه الله حسنه ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عباده وتعليمه صدقه...)).

بمثل هذا كان الإسلام يضع أسس حضاره جديده، وإن حدث بعد ذلك تطور في العلم والعلوم فهو ولا شك بفضل الإسلام والمسلمين.. ويتابع سد أمير علي في المقارنه بين العهود الإسلاميه وتجربتها في أوروبا، وغيرها من الأصقاع والعهود المسيحيه من حيث العلم والعلوم فيقول:

((وفي وقت كانت أوروبا تعتقد بأن الارض منبسطة وأهلها يحرقون كل من يعتقد غير كل ذلك، كان العرب من الجغرافيين يدرسون علم الجغرافيا عن طريق افتراض المدارات الكرويه للأفلاك ويتابع فيقول:

((وحين كانت أوروبا المسيحيه تسترض الشياطين وتعيد خرق القماش من آثار القديسين وعظامهم، في هذا الوقت كانت العلوم والمعارف تزدهر برعاية الحكام المسلمين وينظر اليها بما يشبه التقديس...^(١)

(١). انظر روح الإسلام سيد أمير علي ص ٣٨٨

أما عن التجربة الإسلامية في إسبانيا فيقول سيد أمير علي في روح الإسلام: (١)

((ففي إسبانيا دمرت المسيحية الحياة الثقافية للشعب فبعد أن كان المسلمون قد حولوا إسبانيا إلى حديقته غناء للعلم جاءت المسيحية فجعلتها صحراء قاحله، ويتابع القول:

((والمسلمون قد زيتوا الحواضر بالكليات والمدارس وحولها المسيحيون إلى كنائس لعبادة الصُور والقديسين..

وأحرقت الكتب، وبعد ذلك كان الختام والجزاء كجزاء سينمار إذ قوبلت أعمالنا وحضارتنا وما فعلناه هناك..

بالنكران والجحود والتعذيب والحرق والقتل.. ويتابع المؤلف القول في المشهد الأخير لحياة المسلمين في الأندلس يقول:

أما المسلمون رجالاً ونساءً وأطفالاً أبرياء فقد أحرقوا وذبحوا أو عانوا غير ذلك من التعذيب..

أما من بقي حياً فقد جادت عليهم المسيحية بالإسترقاق، وقد هرب البعض وقذفتهم أمواج الشاطئ إلى بر أفريقيا. (٢)

وشهد شاهد منهم

قال رجاء جارودي، الذي أسلم أخيراً عن قناعة واقتناع ودون اجبار أو إكراه - قال :

في كتابه الذي سماه (الإسلام الحي) (٣)

(١). انظر روح الإسلام، سيد أمير علي ص ٣٨٨

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٣٨٨

(٣). مقارنة الأديان / محمد عزت الطهطاوي/ ص ٣٨٨

أن في الإسلام الحل الامثل لمشكلات البشرية المستعصية والتي لم تستطع أن تحلها الراسماليه الغربيه أو الماركسيه الشرقيه ويذكر اسباب ذلك - في نفس الكتاب، ووضع كتاباً آخر بعنوان (الإسلام دين المستقبل)..يقول فيه:

وهو كتاب يعمل على اظهار الإسلام كوجود ومستقبل وهو ليس كتاب تاريخ- أي ان الإسلام يكمن في مستقبلنا اكثر مما يكمن في ماضينا لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالميه بل عمل على اخصابها ونشرها من بحر الصين الى المحيط الأطلسي ومن سمرقند في وسط آسيا الى تومبكتو في غرب أفريقيا..

وقدم لإمبراطوريات متفككه ولحضارات محتضره حياه جماعيه جديده، ورد للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشريه والإلهيه المميزه وروح الجماعه والتسامي^(١).

ويعزو ذلك الى شمولية الطرح الإسلامي بحيث تعالج حالة الإنسان الشامله الماديه والروحيه. وازاء ذلك هو يضع نقصاً في الطرح الرأسمالي والماركسي فيقول بمامعناه، أين نمو القيم والأخلاق- فيها والمعاملات والسعاده، وبالأحرى أين النمو الروحي؟؟.. أو أثر الدين فيها.. وأنا أقول من جانبي أين هي مجهودات المبشرين والمستشرقين؟ أليس حري بهم أن ييشروا بحقيقه دينهم، على الأقل في ربوع بلادهم التي لفظت تعاليم الدين جانباً وفصلته عن الدوله، وكأنها نزعته آخر التعاليم المسيحيه عن تصرفات المسؤولين والأفراد، وكل ذلك بسبب شطط وغلو الكنيسه فيما سبق - كما يقولون..

فبدل أن يبحثوا عن الحل الجذري لمعضلة الأخلاق والضمير والقيم الروحيه التي طمسها تعاليم الكنيسه فحلت محلها صكوك الغفران والإعتراف بالذنب من أجل الغفران، الى غير ذلك من بدع وأهمها محاربة العلم والعلماء..

نعم بدل ذلك وتحت وطأة الظلم الذي أصاب الناس من غلو الكنيسة، بدل ذلك انفصلت بقية تعاليم المسيح تماماً عن الدولة، فأصبحت بلا روادع أخلاقية، ولا قيم روحية.

وهذا أمر أدركه رجاء جارودي، الذي ضاقت به الأرض الغربية وتعاليم ماركس ولينين الشيوعيه وتعاليم بولس في المسيحيه من قبل فهجر ذلك كله الى تعاليم الإسلام.

الذي لاكره فيه ولا اجبار فيه يتحرر الإنسان من الأغلال والقيود، وهو الذي يجد فيه الإنسان ضالته في العلم والأخلاق والروح والقيم..

وجارودي هذا الذي نوليه هذا الإهتمام لأنه بمثابة شهادة صدق من اهلهم وهو جرب المسيحية تارة وجرب المذاهب الوضعيه تارة اخرى، فلم يجد أحسن من تعاليم الإسلام في اشفاء غليله..

حتى ذهب الى القول عن مصير العالم إنْ هو بقى في أيدي الطغاه والذين لادين لهم نعم قال:

إن العلم بذلك يملك وسائل تدميره بنفسه مئات المرات دون نمو في الضوابط والروادع الأخلاقية.. أما الماركسيه التي اعتنقها فيقول عنها وقد جربها هي الأخرى:

أنها أي الماركسيه ترتكب نفس الخطأ ولكن بأسلوب آخر، فاعتمدت النمو المادي، مقياساً للتقدم ومعياراً للسعادة.

وعليه فالمبشرون كما نرى لم يحملوا معهم مبادئ المسيح كما يدعون، ولكن هم يحملون زيف وأباطيل الرأسماليه أو الشيوعيه الملحده من أجل أهداف مادية بحتة خاليه من القيم الروحيه.

وإن كان غير ذلك كما يدعون- فهم لا يملكون حقائق المسيحية الأصلية -كما رأينا- حتى ينشروها ويبشروا بها الأمم، وإلا لما لفظها هذا المفكر الفرنسي العريق والمتبحر في هذا المجال، ومن ثم يدخل دين الله، الإسلام والذي قال نتيجة هذه الرحلة الطويلة:

هناك رساله واحده أبدية وخالده في هذا الكون وقد جاءت النبوات المتعدده في مراحل مختلفه لتقدم الأشكال المناسبه..

من تلك الرساله الواحده، كل في مرحلته وبطريقته وأسلوبه، والإسلام يقر بوجود هذه الرساله الواحده وينطلق منها ويعمل لإكمالها).

وجارودي ليس وحده الذي اقتنع بمسيرة الإسلام ومبادئه، ولكن الكثير ممن ابتغى الحقيقه وسعى سعيها قد وجدوها ناصعة في هذا الدين العظيم، فكان سعيهم مشكورا، وكل من سار على هذا الدرب فإنه واصل لامحاله وستزول كل الحجب التي روج لها المبشرون والطغاه عن هذا الدين، والذين هضموا حقوقه ولم يتناولوها بالجد والحياد، كما قال جارودي:

(لقد استطاع الإسلام انقاذ امبراطوريات عظيمه من التفكك في القرن السابع من حقبتنا.. ويتساءل فهل في امكانه في يومنا هذا أن يقدم اجابه على قلق وتساولات حضاره غريبه أظهرت في اربعة قرون أنها قادره على حفر قبر على مستوى العالم وأن تهدم ملحمه بشرية بنيت منذ مليونين من السنين بغبداعات جديده وتضحيات من البشر.. ويقول إن الإسلام دين أمه وإيمان ونظام حياة متكاملين*)^(١).

(١). انظر/مقارنة الأديان /الطهطاوي /ص ٣٨٩

وهذا موريس بوكاي الطبيب الفرنسي:

الذي كتب عن القرآن والتوراه والإنجيل.. رغم أننا لم نسمع أنه قد أسلم فإنه فاعل ذلك لامحاله فقط إذا طرح جانب الخوف من بني جلدته -جانباً، وإن لم يفعل فكفانا منه الحقيقة، إذ يقول: (١)

لا يمكن القطع بثبات نصوص العهد الجديد -الإنجيل- والعهد القديم التوراه.. مما يؤكد أن الأيدي البشرية حرقت كثيراً من حقائق دينك الكتابيين المقدسين، ويقول أيضاً:

وهناك فرق آخر جوهري بين الإسلام والمسيحية، فيما يتعلق بالكتب المقدسه ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحية، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معاً، فالقرآن هو الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل ..

أما الإنجيل -كما يقول- أو الكتاب المسيحي المقدس فإنه يختلف بشكل بين عما حدث في الإسلام فيقول:

انه يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشره ولانملك مثلاً أي شهاده لشاهد عيان لحياة عيسى* (٢).

حتى بالمقارنه مع العلم في العصر الحديث يقول: وبفضل الدراسه الواعيه للنص العربي ادركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابله للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث..

(١) . القرآن والتوراه والإنجيل والعلوم/موريس بوكاي ص ١٠

(٢) . القرآن والتوراه والإنجيل/ موريس بوكاي/ص ١١

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والجديد، فمثلاً ومباشرةً يقدم لنا انجيل لوقا أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثه الخاصه بقدم الإنسان على الأرض ورغم ذلك يقول -لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله*^(١). وهكذا.

وازاء ذلك: الأخرى بالمبشرين والمستشرقين الذين يريدون الحقيقة لذاتها نعم كان الحري بهم وهم قد عرفوا التراث الإسلامي على حقيقته والقرآن الكريم وصدقه بالإضافة أنهم التصقوا بالعادات الإسلامية وعرفوا الكثير عنها، أن يخلعوا عنهم حجب الضلال وظلمات الأباطيل فيدخلوا في دين الله أفواجا، ليخرجهم من الظلمات الى النور..

وتبقى في شهاداتهم، أكبر النفع وأنجع الدليل على حقيقة مانؤمن به وزيف مايؤمنون لينتصر الحق بعد ذلك ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

ساعتها يكون فعلهم وهم من الغرب، وفعلنا ونحن من الشرق يصب في معين واحد هو خدمة الحق الذي جاء به الإسلام - هو رساله لكل العالمين، والحق الذي جاء به لا يعرف الحدود ولا الجنسيات، لأن الحق واحد، وهو إعلان كلمة الله الواحد في مشرق الأرض ومغربها، ومن ثم تبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى..

وهناك مفكرون آخرون فهموا حقيقة الإسلام فأسلموا لله رب العالمين، ودخلوا في دين الله أفواجا، من شتى الأمم والأجناس وهذا أيضاً دليل آخر على صدق الحقيقة الإسلامية .

(١). المصدر نفسه ص ١٣

ليبولد فايس النمساوي الذي دخل الإسلام وسُمي بمحمد اسد.. لقد قادني البحث عن أسباب الاختلافات السائدة في المجتمعات الإسلامية والأوربية، الى الحقيقة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الإنساني الصحيح البعيد عن الصراعات الداخلية والمرتكز على أكبر قدر من علائق الأخوة.. والمبشر النمساوي هذا الذي اعتنق الإسلام باسم محمد أسد لم يكتف بهذا القدر بل أخذ يبشر بهذا الدين ووضع كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)، والطريق الى مكة وترجم القرآن الى اللغة الإنجليزية.. وقد كشف في كتابه الإسلام على مفترق الطرق أباطيل المبشرين الغربيين وتزييفهم للحقائق الإسلامية ومنها قولهم:

(لقد استقرت في عقول الأوروبيين أن دين الإسلام دين شهوانيه وعنف حيواني)..

هذا ومثله كثير ولكن نكتفي بهذا القدر من شهادة أولئك الذين أسلموا منهم ففي شهادتهم أكبر دليل على حتمية انتصار الحقيقة الإسلامية في أي حوار مع أي كان.

وبعد؛ حين اتضحت معالم الطريق أمام المفكرين المسيحيين أو نفر منهم سلكوا في دين الله أفواجاً، ولم يروا غضاضة من إعلان ذلك على الملأ، كيف لا والمسلم حين يلج باب الإسلام، فإنه لا يخشى في الحق لومة لائم فهم ما أن دخلوا الإسلام حتى تحولوا الى قوه روحية خارقه لاتهاب كائناً من كان، وهم لم يفعلوا ذلك طمعاً في مال وهم وبلادهم في غنى عن المال، ولا طمعاً في شهره وهم مفكرون مشهورون في غنى عن الشهرة، ولا طمعاً في قوة ومجد المسلمين، والمسلمون في أضعف حال، إن كل ما يهدفون اليه هو الإنضواء تحت لواء الحق والحريه، قبل فوات الأوان، والدفاع عنهما، وهو حقهما في ذلك، كما هو حق المسلم الأول فيه.

وهذا الأمر ليؤكد أن لاصراع بين المسيح ورسالته من جهة وبين محمد ورسالته من جهة أخرى، وإنما الصراع هو صراع بين الحق والباطل، سواء كان صراعاً داخلياً أو صراعاً خارجياً.. ومن ثم كان الإسلام (المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلهية ومنادياً لهم بالعودة الى جوهر التوحيد الذي هو أصل الديانات السماوية، ولا جدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية)^(١).

وتبقى الحقيقة أن محمداً هو خاتم الرسل جاء بخاتمة الرسالات وأنها ناسخة لما قبلها من الرسالات، متلماً لايحوز الإزدواجية في القوانين الوضعيه..

فما دامت التوراه الصحيحه منصوص عليها بالقرآن وكذا مثل ذلك في الإنجيل فلا داعي إذن لرسائل وكتب متعدده.. وقد احتواها كلها القرآن الكريم فكلها من مصدر واحد واله واحد، ولو كان معه آلهة أخرى..

لفسدت الأرض ولعلى بعضهم على بعض ولذهب كل إله بما خلق وعليه فإن الله واحد لا شريك له في الملك والقرآن والإنجيل والتوراه -كما يخبرنا القرآن- قالوا بذلك..

لا بل كلها جاءت بكلمة سواء مشتركه بين كل الشرائع، وكلها ترنوا للعدل في الحكم ونبذ الوثنيه الماديه وترك الشهوات وابتغاء مرضات الله في ذلك .. هذه شريعة السماء وغيرها فهو ضلال الأرض..

(١). انظر / الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/ص ٦٢

مظاهر الحوار والتواصل الإسلامي المسيحي

تواصل الحوار العلمي والفكري بين المسلمين والمسيحيين عقب كل مرحلة من مراحل الصراع.. وهذا التواصل والتعارف ليس غريباً إذ جاء في القرآن نص خالد يأمر بالتعارف بين الناس - دائماً في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن التسامح الديني بين الأديان تقول المؤلفة هونكه^(١):

عندما دخل العرب الإسكندرية عام ٦٤٢م لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامه كبيره وأما ماتهم به قائدهم عمرو بن العاص من احراقه لمكتبة الإسكندرية، والذي يعبر به حتى اليوم عن صورته مفزعه للبربريه والوحشيه فقد ثبت أنه مجرد اختلاق.

وتقول المؤلفة إن عمرواً فاتح الإسكندرية هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرّم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ماكان غريباً عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية المتوارثه ..

واليك نموذج عقد صلح مع الشعوب المنزومه على تلك المعاني: هذا الإتفاق يشمل كل الرعايا المسيحيين، كهنة ورهباناً وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن اينما كانوا حسب مشيئتهم وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسه...الخ

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه/ص ٣٦٢-٣٦٣

ومن جانب آخر

في الثامن عشر من فبراير عام ١٢٢٩م مدّ الشرق للغرب يده مصافحاً وأمام هرمان فون سالترا وتوما الاكويوني قال السلطان الكامل:

(اقسم بالله العظيم وبقلب ونية سليمة أن أنفذ كل ما اتفقنا عليه في هذه الوثيقة والأحنت بقسمي..وفي الساعة نفسها أقسم فردريك الثاني قائد المسيحيين في معسكره قرب يافا بين يدي فخر الدين يمين احترامه للإتفاق مؤكداً قسماً بقوله (إنه سيأكل لحم يده اليسرى إن هو حنث بهذا القسم العظيم).

وبهذا تم السلام بين الشرق والغرب دون حرب أو سلاح، وحقق فردريك الثاني ما عجزت عن تحقيقه الحروب الصليبية.. وبقي بيت المقدس مدينه مقدسه لأبناء الديانتين على السواء وتتابع هونكه في كتابها القول:

أو لم يقل صلاح الدين لريشارد قلب الأسد (إن بيت المقدس مدينه مقدسه بالنسبه إلينا ونحن نقدسها أكثر منكم لأنه منها بدأ الرسول اسراءه ليلاً الى السماء وهناك اجتمع الملائكة من حوله) لذلك وجب ان يحتفظ المسلمون بقبة الصخره والمسجد الأقصى وسمح للمسلمين بزيارة بيت لحم المسيحيه وفرض على الحجاج جميعاً مسلمين ومسيحيين - أن يراعوا مشاعر بعضهم بعضاً لافرق بين مسلم ومسيحي.. وبهذا الإتفاق كانت بداية لعصر جديد بالنسبه للغرب وهذا ولاريب يتناقض مناقضه تامه عقلية الخروب الصليبية كما تقول المؤلفة في كتابها..

وفي هذا الجانب يرصد موريس بوكاي * (١)

العوائق القائمة بين المسلمين والمسيحيين بعناصر جوهرية أهمها:

١- أن المسيحيه لاتعترف باي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ولذلك فهي تستبعد القرآن.

(١). القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي/ص٦

٢- الطريقة التي استخدمت في تنقيف الأجيال وخاصة في استخدام بعض التسميات مثل (الدين المحمدي) أو المحمديون.. لتظل النفوس مقتنعة بذلك الراي الخاطيء القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل وهناك كمايقول محاولات من هذا أو غيره هي لاسبعاد التنزيل الإسلامي أو الوحي ..

الأنه من ناحية أخرى يرصد تغيراً جذرياً يتحقق اليوم على أعلى مستوى في العالم المسيحي في سبيل تشجيع الحوار الإسلامي المسيحي ومن مظاهر ذلك- كمايقول:^(١)

الوثيقة التي طبعتها سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتكان الثاني بعنوان(توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين) والتي طبعت للمرة الثالثة عام ٧٠ م..

وفي هذه الوثيقة- كمايرى تطوراً في هذا الصدد حيث تشهد بعمق التحول في المواقف الرسمية فقد دعت الوثيقة الى استبعاد الصورة التي يُصورَ المسيحيون المسلمين عليها- ثم اهتمت الوثيقة (بالاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو الترييه المسيحية في حق المسلمين) كمايقول*^(٢).

والوثيقة تؤكد على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين.. وحصلت كما يقول بعض الحوارات بين مسلمين ومسيحيين أهمها استقبال المجلس المسكوني الاعلى للكنائس بجنيف وغبطة الأسقف إلشنجر أسقف استراسبورغ كبار علماء المملكة العربية السعودية..

(١). القرآن والتوراة والإنجيل والعلم/موريس بوكاي/ص٧

(٢). انظر/القرآن والتوراة والإنجيل/موريس بوكاي/ص٧

وضمن هذا التطور ظهر كتيب من قبل - من الفاتيكان لغير المسيحيين عام ٦٧م تعلن فيها سكرتارية الفاتيكان.^(١)

أن الفكره التي كانوا يعلنونها عن الإسلام مشوهه وغير صحيحه وهم أخذوا في تصحيح كثير من المفهومات عنه في الوقت الحاضر.. منها:

١- فينفون عن الإسلام التعصب أو أنه انتشر بالسيف ولايحترم المرأه ويبينون الوجه الصحيح في كل هذه الامور.

٢- ويتحدثون بدقه عن معنى الجهاد الإسلامي.

٣- وأن الله الواحد الأحد الذي يعبده المسلمون هو الله خالق السماوات والأرض الذي يعبده المسيحيون.. وبناءً على ذلك يطلبون من المسيحيين في جميع الأرض أن يصححوا مفهوماتهم..

عن الإسلام، ويعلنوا تراجعهم عن هذه التشويهات والأخطاء التي كانوا واقعين بها.

ثم ظهر كتاب آخر سنة ١٩٨٠عنوانه (كلنا أبناء ابراهيم) في باريس وأصدرته جمعيتان هناك: الأولى: جمعية التعليم الديني في فرنسا، والأخرى: جمعية العلاقات مع الإسلام.^(٢)

وهو كتاب يقدم للمسيحيين ليعلموا ماهو الإسلام من وجهة النظر المسيحيه وفيه شيء من الإنصاف للإسلام فيقول مثلاًعن القرآن:

١- هو الكتاب الموحى به الذي تلقاه محمد عن الله بواسطة الملك جبريل .

٢- والقرآن يهيب بالإنسان الى التفكير وليس نوراً ينير للإنسان معنى الحياة والموت فحسب ولكنه دليل ايضاً لكل مجالات الحياة الشخصيه والاجتماعيه.

(١). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/ص٣٢٠

(٢). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/٣٢١

٣- وإننا نجد في القرآن أسساً يمكن أن نقيم عليها نظاماً متيناً للعدالة الاجتماعية والإقتصادي والسياسي والتشريع والحقوق والعلاقات الدولي.
٤- ويعترف القرآن بجميع الانبياء السابقين منذ آدم حتى محمد (عليه الصلاة والسلام)..
٥- وعن الإسلام يتكلم عن أركان الإسلام ويصحح كل الأخطاء التي كانت تجري على ألسنة المسيحيين وفي النهايه يتكلم عن تطور علاقه بين المسيحيين والإسلام.. الخ .

وبعد: هو ما نراه اليوم في المجتمعات العربيه والإسلاميه التي يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات - في مختلف الأعمال والميادين، دون النظر الى الألوان والأجناس أو الأديان..

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير/ دار الكتب العلميـه-الطبعه الأولى ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م.
٢. تفسير المنار - محمد رشيد رضا.
٣. النصرانيه من التوحيد الى التثليث - محمد أحمد الحاج / ١٩٩٢.
٤. الميزان في مقارنة الأديان - محمد عزت الطهطاوي/ ١٩٩٣.
٥. ينبع المسيحيه - خواجه أفندي / ١٩٩١.
٦. عدو المسيح - نيتشه، ديسرى ابراهيم/سيناء للنشر/ ١٩٩٠.
٧. قصص الأنبياء - الثعالبي /المكتبه الثقافيه.
٨. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم- د.موريس بوكاي/جمعية الدعوه الإسلاميه.
٩. ظاهرة انتشار الإسلام - محمد فتح الله الزياي / ١٩٨٣.
- ١٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار - محمد البهي/ دار الفكر بيروت/ ١٩٧٣.
- ١١- قصة الحضاره - ول ديورانت /ترجمة محمد بدران /الإداره الثقافيه/ الجامعه العربيه..جزء ١١.
- ١٢-المسيحيه - أحمد شلبي /ط. ٨٠/النهضه المصريه/ ١٩٨٤.
- ١٣- النظم السياسيه - محمد كامل ليله /النهضه العربيه/بيروت / ١٩٦٧.
- ١٤- روح الإسلام - سيد أمير علي/ترجمة عمر الديراني/بيروت/ ١٩٦١ م.
- ١٥ - الفكر الديني في مواجهة العصر - د.عفت الشرقاوي/دار العوده بيروت.

- ١٦- في الفكر الغربي المعاصر - د. حسن حنفي / المؤسسه الجامعيه.
١٧- التوحيد وواقعا المعاصر - د. عدنان النحوي / دار النحوي للنشر / ١٩٩٣.
١٨- بعض الدوريات والمجلات..

فهرس الموضوعات

اهداء.....	٣
تقديم.....	٥
مقدمه - الإسلام والمسيحية والحقيقة الواحدة.....	٧

الفصل الأول

حقيقة المسيح في القرآن.....	١١
-----------------------------	----

الفصل الثاني

حقيقة المسيح في الأناجيل.....	٥٢
-------------------------------	----

الفصل الثالث

الإنحرافات والصراعات الدينية-أسبابها.....	٧٦
أثر بولس في المسيحية.....	٨٤
أسباب الصراعات الدينية.....	٨٩

الفصل الرابع

الحروب الصليبية وظاهرة الإستشراق.....	٩٤
الإستشراق وأهدافه.....	١٠١
موقف بعض المستشرقين من الإسلام.....	١٠٧
الإستعمار الصليبي.....	١١١

الفصل الخامس

اسس الحوار الإسلامي- المسيحي.....	١١٧
العودة إلى الحقيقة الكبرى.....	١٢٥
التوحيد والمعرفة الإلهية.....	١٣٦

الفصل السادس

١٤٩	التجربه الإسلاميه.....
١٤٩	الدين عند الله الإسلام.....
١٥٦	التجربه الإسلاميه في أوروبا.....
١٦٧	وشهد شاهد منهم.....
١٧٥	مظاهر الحوار والتواصل الإسلامي المسيحي.....
١٨٠	المصادر والمراجع.....
١٨٢.....	فهرس الموضوعات.....

ترجمة المؤلف (تكتب على الغلاف من الخلف)

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجية، عكف على حفظ القرآن ومن ثم التأمل والبحث في آياته، بقي كذلك عدة سنوات .

في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ،وما تنطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ،فنذر نفسه على خدمته مادام فيه عرق ينبض ،فوضع في مجاله مختلف الدراسات طبع منها:

١- منهج القرآن في الإقتصاد

٢- المرأة في ظل شريعة تالقرآن

٣- مدينة الله في الأرض - قراءه معاصره

أما غير المطبوع منها :

١- الله يتجلى في عصر الطاقه

٢- العقل محاوله لفهم عصري

والآن جاء دور هذا الكتاب - آفاق الحوار الإسلامي المسيحي أرجو أن يكون فيه النفع والخير الكثير .